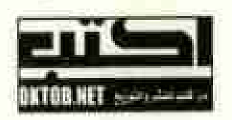
رحلة يحيى

رواية

محمود جمال



دار اكتب للنشر والتوزيع



رحلة يحيى

رحلة يحيى

محمود جمال
الطبعة الأولى، القاهرة 2019 م
غلاف: أحمد فرج
تدقيق لغوي: خالد رجب عواد
رقم الإيداع: 2018/21921
I.S.B.N: 978-977-488-116-8



دار اكتب للنشر والتوزيع
العنوان: 12 ش عبد الهادي الطحان، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة، مصر
هاتف: 01111947957
بريد إلكتروني: daroktob1@yahoo.com

"إلى المشتتين في الأرض،إلى الحيارة،القلوب المهاجرة بين الضباب والمجرات الكونية المختلفة: كتابي هذا لمن أراد الحياة ثم اكتشف أن الموت أغلى، إلى كل يحيى مسافر... متّ بسلام، فالأحياء لن تصلهم رسائلك"

1

10- أكتوبر

يستيقظ من نومه ويصرخ قائلًا:

- وجدتها، وجدتها.

يهرول لمعمله، يقف أمام جهاز كبير، يبتسم له ابتسامة انتصار، يفتح ذراعيه على مصراعيهما، يظهر في انعكاس الزجاج جسده النحيل وشعره الاجعد وعيناه العسليتان المختبِّئتان تحت نظارته الطبية، يظهر عليهما الإرهاق والتعب، منتفختان من قلة النوم، وجهه عليه علامات النصر، والراحة، عيناه تذهبان يمينًا ويسارًا على شاشة الجهاز.

فتح الباب الزجاجي من الداخل توجد لوحة حاسوبية عليها أرقام ضغط على أرقام محددة، وهو يتمتم:

- يا رب.. يا رب.

ظهر على شاشة اللوحة الحاسوبية:

"من فضلك انتظر ثلاثين دقيقة".

أخرج هاتفه، تحدث بسعادة:

- نعم، نعم.. لقد نجحت يا عزيزتي، جهاز العودة بالزمن نجح، ثلاثين دقيقة فقط، وسأسافر لكل العصور، وسأدون كل ما سأراه، سأبدأ من أول آدم عليه السلام حتى يوم مولدي.

لا يا عزيزتي لا، أنا لست مجنونًا، سأنجح، وسأتذوق طعم النجاح، سأسرد لكي كل ما رأيت، ألقي التحية على والدك ووالدتك وأخيك الصغير، الوداع يا عزيزتي، الوداع.

أنهى مكالمته، وهو يقفز فرحًا، ارتدى قميصه الأزرق، وبنطاله الأسود، ربت بيده على بطاقة تعريف الشخصية التي كانت تحمل اسم "يحيى حسنين"، ووضع قلم، ومدونة ليدون كل شيء سيراه.

وقف مرة أخرى أمام الجهاز، فتح الواجهة، الشاشة في حالة العد التصاعدي خمس وعشرون دقيقة، ست وعشرون، سبع وعشرون، أخذ نفسًا عميقًا، دخل بكامل قواه العقلية، ثم كتب على شاشة أخرى على يمينه:

"فلتبدأ الرحلة"

***

وميض قوي فقد على إثره الوعي، لا يعرف متى استرد وعيه، فتح عينيه، وجد على يمينه ويساره أنهارًا كثيرة، وخلفه وأمامه صحراء واسعة الأمد بأشجار قليلة، تحرك مسافة ليست بالقصيرة في الصحراء، حتى وصل لصخرة ضخمة يجلس عليها رجل وامرأة عاريان، جلس بجانبهما.. هو يراهما وهما لا يريانه، قال الرجل بصوت يملؤه الندم:

– لقد أخطأنا يا حواء عندما أغوانا الشيطان وتبعناه!

يا إلهي! إنه يجلس بجانب أبي البشر، آدم عليه السلام.

سمع صوت آدم مرة أخرى يقول:

– الجنة كانت خضراء واسعة، أشجارها ولبنها وعسلها كانت ملكًا لنا! لقد طردنا الله من رحمته، وصرنا أعداء له مع الشيطان، خلقنا الله أقوى منه، ولكن في هفوة منا أصبح هو أقوى منّا يا حواء!

صاح يحيى قائلًا:

– لماذا لم تعد بي الآلة أكثر من هذا؟! لكنت أنقذت البشرية بأكملها من أعمال الشيطان.

بدأ يدوّن في المدونة:

" لا أصدق أن ما أدوّنه حقيقي، ولكن لمن سيقرأ هذه المدوّنة في أي زمان ومكان.. هذا ما حدث بالفعل.

لقد رأيت أبا الأنبياء آدم عليه السلام.

دوى صوت يزلزل الأرض من تحته، انتفض، توترت أعصابه، سقط على الأرض، وجد الكثير من الجنود وجمل عليه هودج، نخ الجمل وسجد رجل بجانب الجمل لتهبط سيدة يظهر على ملامحها القوة والصرامة، قالت بنبرة تهديد:

- هنا سنبدأ حملتنا التأديبية لفلسطين.

فردد الجنود:

- أمر ملكتنا حتشبسوت.

بسرعة أخرج مدونته "يبدو أنني في سيناء، فالأرض التي بدأت منها حتشبسوت حملتها التأديبية هي سيناء، والأقاويل كثيرة حول موقع نزول آدم وحواء، البعض يقول سيناء، والآخرون يقولون فلسطين، على كلٍّ، لا أفهم سبب وضعي هنا بجانب اثنين في أزمان مختلفة" في أثناء كتابته سمع صراخ سيدة فنظر تجاه الصوت وكتب بسرعة "حوا تضع توأمين" فاقترب منها بهدوء، فكبر الأربعة في لحظات، فكتب "العمر مر في لحظات بالنسبة لي فقد كبر هابيل وقابيل وترك الحوراء وجهانة".

***

في يوم تتبع أثر الرجلان بعد سماع صوتهم عاليًا.

صعد خلفهم تلًا كبيرًا، حقلًا واسعًا، وضع هابيل القليل من الزرع والمحاصيل، قابيل وضع غنمًا سمينًا، نزل ضوء أحمر من السماء يشبه ألسنة النار، وسحبت معها الزرع والمحاصيل وتركت الغنم، ثار غضب هابيل وتوعّد قابيل بالقتل.

فرد عليه هابيل بهدوء:

- لئن بسطت إلي يدك لتقلتني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين.

ثم نظر له نظرة محبة وأكمل قائلًا:

- إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين.

فاحمرت عين قابيل غضبًا، فهرول ناحية أخيه ليقتله، حاول يحيى أن يذهب لاتجاههما ليمنعه، لكن قابيل قتل هابيل.

جلس قابيل على صخرة وشعر بالذنب العظيم، تحرك ببطء شديد تجاه جثة أخيه، حملها بين يده كما يحمل الأب طفله للفراش، دموعه تنهمر على وجهه وتغرق صدره، نظر عن يمينه ليجد غرابين يتعاركان، انتصر الأقوى منهما، ثم دب منقاره في الأرض ليحفر حفرة صغيرة بحجم الآخر الميت، وقذفه فيها وأغلق عليه برمال الحفرة.

كتب يحيى:

"رأيت آدم ونسله، ولا أعلم كيفية تغير الحقب الزمنية، ولا حتى أعلم كيف يمكنني إرسال هذه المدونة لأمي أو لأختي، اشتقت لك كثيرًا يا أمي، سأحاول الرجوع لك قبل عيد ميلادك الثالث، لكني الآن لا أعلم كيف أنتقل لحقبة زمنية أخرى!"

سمع صوتًا قويًا من خلفه ينادي:

– مهلائيل..لن تنتصر عليَّ بسهولة يا ابن الإنس..جيشك أضعف من جيشي.. فجيشك من البشر والإنس، وأنا جيشي من المردة والغيلان الأقوياء.

ثم أخرج سيفه من خلف ظهره وأخذ وضعية المهاجم، سيفه أمام صدره بعدة سنتيمترات بسيطة، قدمه اليمنى للخلف قليلًا واليسرى أمامه، ممسكًا بالسيف المعدني الكبير يتوعد مهلائيل بالقتل..

ثوانٍ معدودة مرت كالدهر إلى إن سمع صوت ضحكات متعالية تأتي من الجهة المقابلة، فنظر لعيون مهلائيل مباشرة وهو يقول بصوت غليظ

- إذا كان جيشك من المردة والغيلان.. فأنا جيشي مدعوم من الله سبحانه وتعالى".

فردّ عليه إبليس العظيم:

- سوف أقتلك وأحارب الله.. فكنا نعيش في الجنة، ولا نظلمه في شيء.. ماذا فعلنا ليسكن الأرض والجنة بأمثالكم يا بني آدم!؟

فرد عليه مهلائيل بقوة:

- حسنًا يا إبليس.

تحرّك بسرعة لإبليس يهز سيفه يمينًا ويسارًا، من خلفهم الجيوش تقاتل وتحارب، صوت السيوف يصم الأذن، يحيى خلف صخرة كبيرة يتابع بخوف ورهبة، يدون في مدونته كل مارآه، يُمنِّي نفسه أنه مجرد خيال لا أثر له، طارت رأس جندي لتصبح جانبه! صرخ صرخة عالية! نظر فيها له جنود من جيش مهلائيل، تحركوا تجاهه، رعشة قوية تهز بدنه، تخرج رائحة الخوف منه، تمنى أن يشعر بالراحة النفسية ليهدئ خوفه.

أغمض عينيه لثوانٍ معدودة، فتحهما مرة أخرى ليجد نفسه في مكان أكثر تقدم وتطور، خرج من خلف الصخرة بهدوء، شاب أسمر يتسلق مبنى كبيرًا حتى وصل لسطحه، ونادى بعلو صوته:

" الله أكبر الله أكبر..أشهد أن لا إله الا الله..أشهد أن لا إله إلا الله"

فقال بصوت مندهش:

- يا الله.. هذا بلال!!

ليكمل الشاب الأسمر:

" الله أكبر الله أكبر...لا إله إلا الله".

وتحرك نور عظيم نوره يهدئ النفوس.. نور العظمة والأمان والسلام، نور من أنزل الله عليه الصلاة والسلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، حلت بركتك يا محمد على كل البشر، فكنت نعم الرسول والمرسل ونعم البشر.

حلّ الظلام، هدوء مرعب، سار بين الطرقات يتحسّس المباني، سمع صوت اشتعال خشب، سار تجاه الصوت، مجموعة من الرجال لا يرتدون إلا قطعة من القماش تغطي عوراتهم، يجلسون بالقرب من النار، فقال أحدهم:

– أكبر خطأ فعله الحكيم أنه ولّى امرأة حكم مصر.

فرد عليه الآخر:

– حتشبستوت امرأة ذكية لكنها لن تستطيع صد أي اعتداء.

فقال الأخير الذي كان يفرش الأرض بجسده ووجهه للسماء:

– المصيبة الكبرى إذا اعتدى القراصنة على سفينة من سفننا، لن تستطيع هي صد ذلك الخطر.

فقال الأول:

- تجارتنا زادت بنسبة كبيرة يا أصدقائي، والاقتصاد زادت معاملاته في طيبة.

فضحك الثالث، وقال:

- يا مغفل، النساء جيدات في التجارة والمال،لكنها ليست كأي امرأة، ألم ترَ قوامها الممشوق وعينيها الساحرتين، لعن الرب زوجتي البدينة.

فضحك الثاني على معاكسته لها، وقال:

- قوام فقط! يا لك من أبله! في يوم من الأيام كانت تنـــزل على ظهري من موكبها، نظرت لفوق، ويا له من منظر يا أصدقاء!

سمع الجميع عواء ذئاب، وقفوا، نفخوا صدورهم بالهواء، أمسكوا سيوفهم.

ثم سمع من خلفه صوت مبارزة بالسيوف، نظر لها ليجد طفلًا صغيرًا ورجلًا كبيرًا.. يتبارزان بالسيوف وسط رجال يرتدون عباءات بيضاء ورؤوسهم تُغطى بعمة عربية، فقال الرجل المبارز للطفل:

- يا علي، أنت قوي مثل ابن عمك، يا علي، عندما تبارز اجعل السيف في المقدمة، وارجع بجسدك للوراء قليلًا.

فقال له الصبي:

- حسنًا، يا قائدي.

ذهل يحيى من هول الكلام!

فهو رأي العظماء!

تلفّت يساره بعد سماعه لصراخ رجالي عالي!

مهلائيل يعلن انتصاره في الحرب على إبليس والجن، وصرخ بصوت عال:

– يا رجال، هيا بنا إلى بابل، هيا بنا إلى أكثر المدن أمانًا.

فهتف الرجال من خلفه قائلين:

– إلى بابل، إلى بابل، إلى بابل.

فصرخ يحيى قائلًا:

– ماذا يحدث؟ وكيف يحدث؟، في أي عصر أنا؟ وكيف انتقلت بسهولة لكل تلك العصور؟ أغمض عينيه للحظات ففتحهما مرة أخرى.

يبدو من لون السماء أن الشمس أوشكت على الغروب علي نهر النيل بينما تصرخ سيدة في قصر فرعوني كبير أمامه تمثال على هيئة أسد قوي على ضفاف النهر.. يتزين القصر بذهب مرصع وأكثر من عشرين رجلًا من أصحاب البنية القوية يرتدون نفس القطعة البيضاء المستطيلة التي تبدأ من الوسط مُثبّتة بحزام من الظهر به سيف ضخم، وتنتهي فوق الركبة يهرول الطبيب لها فرحًا بصريخها لتحقيق نبوءته بانها ستلد رجلًا قويًا مثل أبيه الذي قُتل في حرب منذ عده أشهر، فمرت لحظات قليلة حتى رأى على ضفاف نهر النيل القوي الذي يمتد لأبعد من العيون يتوج الملك المعظم

"مالوك" ابن الملك العظيم الذي قتل ليدافع عن وطنه ويعلم جنود جيشه كيفية التضحية من أجل الوطن، يقف الملك حليق الجسد، يرتدي على رأسه تاجًا من الذهب الخالص وسلسلة تصل لمنتصف صدره وخاتمًا كبيرًا على هيئة ثعبان، وعلى جانبه الأيمن زوجته ترتدي فستانًا مطليًّا بماء الذهب، وحذاء من القطن ونعلًا من الخشب المطلي بالذهب، وترتدي على رأسها تاجًا صغيرًا على هيئة ثعبان، وعلى يساره يمسك بيده أسده الذي تربى معه منذ الصغر، سكت الجميع عندما أشار مالوك بيده اليمنى، تحدث بصوته الغليظ القوي المناسب لهيئته وبنيته القوية، فأنفه صغير وشفتاه عريضتان وعيناه سوداوان، لكن عندما تهمس لها الشمس يتحول لونها إلى البني.. فهو عريض المنكبين وطوله يصل لمئتين وعشرين من السنتيمترات، قال بصوت غليظ:

– إنني أعلم جيدًا كم انتظرتموني كثيرًا.. هأنا الآن مالوك ابن أعظم رجل في الوجود.. أتحدث لكم وجها لوجه كما تعودتم مع والدي.. يصف لكم شئون البلاد الداخلية، ولا يُخفي عليكم سرًّا.. فهو رجل عظيم كما تعلمون.. قتل في حرب ضد المحتلين.. مات، وعندما مات سجد له كل مواطن يعيش في طيبة.. فهو كان إله الحب والقوة والجمال، أعدكم يا شعب طيبة.. أن بلادكم ستكون أجمل مما كانت.. لقد أنهيت كلامي، والآن الكلام لقائد مجلس الشيوخ.

قام رجل يرتدي عباءة بيضاء تكشف كتفه اليمنى، وتغطي اليسرى، وتصل إلى ركبتيه، ويرتدي القبقاب الخشبي، ملامحه يدل عليها الكبر في

السن، وانكمش جسده، رفع يده اليسرى مشيرًا لحرس الملك أن يركعوا أمامه، ثم رفع يده اليمني لباقي الشعب مشيرًا له بالركوع، فركع الجميع أمام الملك الجديد لطيبة.. ثم أعلن بصوته القوي:

– الآن أصبح لطيبة حاكمًا وملكًا جديدًا.. الملك مالوك.

فهلّل الواقفون جميعًا وقبّلت زوجته يده اليمني بحنية المرأة القبطية.. ثم همست له بصوت منخفض:

– عزيزي.. الأرز، والقمح أوشكا على الانتهاء.

فرفع يده اليمنى قائلًا:

– إلى كل تُجّار الأرز والقمح في طيبة.. أدعوكم إلى اجتماع في قصر الشعب.. اليوم بعد غروب الشمس بقليل.

هلّل الشعب مرة أخرى لأن الملك علم بمشكلة القمح والأرز، ثم صاح الملك مرة أخرى بصوت قوي:

– عاشت طيبة.. عاشت طيبة.. فردد خلفه الشعب:

– عاشت طيبة.. عاشت طيبة .

***

رسول يهرول وسط شوارع طيبة يحمل رسالة لمالوك فيدخل الحرس القصر، ويطلب منهم الدخول والقول للملك إنه يحمل رسالة من إله الشعوب.. فدخل الحارس لمالوك وإخباره بما قاله الرسول فضحك مالوك وأذن له بالدخول.. فقال الرسول بصوت يدل على ثقة:

– إن مولاي يأمرك بترك طيبة له، وإعطائك ما يكفيك من القمح، والأرز أنت، وأسرتك حتى وفاتك.

فقَهْقَه مالوك حتى دمعت عيناه،وطلب منه أن يذهب لمولاه هذا ويقول له بنبرة حادة:

– أخبره أن شعب طيبة أقوى شعوب الأرض، وإذا فكّر أن يُعادينا سيجد ما لا يسره.

فردّ عليه الرسول باستهزاء:

– نعم.. إنني أتذكّر بالفعل أنكم أقوى شعوب الأرض.. فدماء أبيك تسيل حتى الآن على سيف عدوكم اللدود.

– غضب مالوك لكنه لم يتنازل عن هدوئه الخارجي فقال بنبرة حادة:

- اذهب ايها الرسول إلى مولاك وأخبره أننا سادة العالم.. فنحن شعب طيبة، وقل له إن مالوك يقول لك إنك لحقير بسبب إرساله لأحمق مثلك.

فعدّل الرسول شاله على كتفه، وخرج وهو يتأفف، ويتوعّد مالوك، وشعبه بالهلاك من مولاه القوي الذي لا يقهر.

استدعى مالوك حارسه الذكي الأمين وطلب منه أن يرسل شخص يتتبع هذا الرسول ليعلم من هو مولاه..لكن بالطبع دون أن يراه أو يكتشفه أحد.

بعد مرور أكثر من سبعة أيام عاد المُتتبّع ليدخل على مالوك، ويُخبره بنبرة خوف:

- مولاي.. آسف على دخولي هكذا.. لكن لديَّ خبرًا مهمًّا لك.

فردّ عليه مالوك بنبرة شفقة:

- تحدّث يا فتى.

- إن الرسول كان يحمل رسالة من امرأة.

- من هي؟

- اسمها رشولين.. من بلدة صغيرة جانب طيبة.

- هل عرفت عمرها أو ماذا تريد؟

– عمرها أقل من عمرك بقليل يا مولاي، وما رأيته أنها تبني جيشًا من السيدات.

– سيدات!! منذ متى، والسيدات جنود؟

– هذا كل ما أعرفه يا سيدي.. هل يمكنني الرحيل.. اشتقت كثيرًا لزوجتي، وابني الرضيع.

– هل ابنك رضيع!!

– أجل يا سيدي.

– ولماذا تركته؟

– لقد أمرني سيدي أن أتتبع الرسول فتركت أسرتي ورحلت.

نادى مالوك غاضًا ارسه وقال بنبرة غضب:

– مَن أذن لك أن تختار هذا الجندي وأنت تعلم أن زوجته أنجبت لتوها؟

– أنت يا سيدي قلت لي اختر من تشاء.

– جيشنا يتكوّن من خمسة آلاف جندي.. تركتهم جميعًا واخترت هذا الرجل؟

– إنه من أكفأ رجالنا يا سيدي.

نظر مالوك إلى الجندي، وطلب منه أن يذهب معه ليبارك للمولود، ويعطيه من قوته.. ففرح الجندي فرحًا شديدًا ظهرت في عينيه.. دخل

مالوك خيمتهم فوجد امرأته ترضعه فغض بصره لأنها سيدة متزوجة لها منه كل احترام..فعدّلت من وضعيتها، وهندمت ملابسها فصرخ الطفل بسبب جوعه..فقال لها مالوك بنبرة الأب:

- أرضعي ابنك، وأنا أنتظر في الخارج.. وعندما تمتلىء معدته أخبريني.

فخرج مالوك، وظل ينظر لعامة الشعب ويتأمل حالهم.. فوجد طفلًا عند شجرة يبكي..فسأله:

- ماذا بك؟

فأخبره أن والده طرده من العمل لأنه لا يعمل بكد.

فقال له:

- اذهب واستسمحه، وعده انك ستنهي عملك على أكمل وجه.

حينها خرجت الأم من خيمتها تعتذر عما حدث.. فلامها مالوك، وأخبرها أن أي طفل، ورجل وامرأة في طيبة لهم كل الحق في الأكل حتى ملء البطون.. فدخل، وقبّل يده، ورأسه، ونفخ في أذنيه وقال له:

- باسم إله طيبة أنفخ فيك من قويّ، وأشهد نفسي، وخدمي أنك لمن المحسنين.

أمسك يحيى رأسه، وصرخ صرخة عالية هزّت الخلاء من حوله، وبكى كثيرًا لعدم فهمه ما يحدث، فجاء صوت من خلفه:

"ما يحدث لا يمكن لأي شخص أن يمر به، لقد أردت استكشاف خبايا الماضي فكشفه الله لك عن طريق عقلك الصغير،حارب لتفهم ماذا يحدث، ولن تفهم إلا عندما تصل لدرجة عالية من الذكاء، دراستك على الأرض عبارة عن عمليات فيزيائية ورياضية، أنت الآن في الشق العملي، أنت لست على الأرض، أنت في الفضاء، أصبحت مثل المجرّات.

نظر يحيى حوله فرأى الكواكب تحوم حوله، والشمس بعيدة عنه بما يكفي، والأرض تحته ببحارها وجبالها، فأحس بإعياء شديد، فسقط مغشيًّا عليه.

***

عربي.. صديق الرحلة

- استيقظ يا هذا، استيقظ.

ففتح يحيى عينه ببطء شديد وقال:

- مَن أنت؟

فقال الرجل المُتجرّد من ملابسه تمامًا، من أنا هذه قصة طويلة سأقصها عليك بعد أن أتأكد أنك بخير.

- أعتقد أني بخير، من أنت إذًا ولماذا أنت عاري هكذا!

- لأن الموتى عراة يا صديق! ألم تسمع قرآنا من قبل؟

- موتى! لا أفهم!

- هل مُت في حادثة أو ما شابه؟ لأنك ترتدي قميصًا وبنطالًا، وهذا غريب في عالم الموتى.

- لا لم أمت، فقط ذهبت لرحلة عبر جهاز للرجوع للماضي ورأيت ناس ماتوا من ملايين السنين، ولا أعلم كيف رأيتك؟

– لأني مُت منذ سنوات عدة، لكنها لم تصل لملايين على ما أعتقد، مُت عام ألف تسعمائة ثمانية وأربعين، في فلسطين، لا أتذكّر اسمي فسميت نفسي عربيًا.

– مُت في حرب؟

– نعم، ضد عدوي الصهيوني، هل أصبح العرب وهو أصدقاء؟

– قص علي الحياة الفلسطينية الآن يا صديق، هل انتصرت المقاومة؟

– هل نجح صديقي أبو دية في سلاحه؟

– أبو دية استشهد بعد أربعة أعوام من استشهادك.

فتكوّنت الدموع في عين عربي، وقال:

– رحمك الله يا رفيق.. أكمل يا هذا، ما رقم آخر عام حضرته على الأرض؟

– يحيى.. اسمي يحيى.

– 2016، وفلسطين ما زالت تحت الحصار، أمهات تُغتصب، أطفال تُنتهك، شيوخ تمرض وتموت، فتيات ثورتهم من نار، رجال تُستشهد يوميًا، ويا ليت فلسطين فقط تحت الحصار، سوريا، العراق، ليبيا، مصر.

فصرخ عربي:

– هل سلّم الملك مصر للإنجليز مرة أخرى؟؟

- لا، تحوّلت مصر من ملكية لجمهورية، عام 1952 عام مُميّز عند الجيش المصري، لأنهم استطاعوا أن يقنعوا المصريين أن حُكم الجيش حكم مدني.

فضحك عربي وقال:

- مدنية! تبًّا للحكام العرب، احكِ لي، كيف وصلت لهنا؟ وهل نجح بالفعل اختراعك الزمني؟

- نعم نجح، لكنك تقول لي نحن أموات، وأنا متأكد أننا لسنا أموات!

- من يموت في سبيل العلم يكون حي يرزق عند الله، وأعتقد أنك شهيد!

- شهيد! لا أعلم، خائف.

- قرأت كتابًا من قبل أنك إذا رجعت بالزمن تأمر عقلك للذهاب لمكان معين فيذهب، جرّب لن تخسر شيئًا.

أغمض عينه وقال داخله:

- أريد الذهاب لأبشع خيانات في الزمن.

اقتحم تفكيره صوت قوي، صوت أقدام، صوت آخر يشبه جر حديد على الأرض، نظر خلفه، صحراء جرداء تمتلئ برجال يرتدون الزي العسكري الخاص بالمصريين القدماء، يحملون تابوتًا من الذهب، حفروا في وادي الملوك ووضعوا التابوت فيه، وقال رجل يرتدي جلباب أبيض مقسوم نصفين من أول الفخذ، لتظهر رجله للاعين:

– انقشوا على قبره "سيضرب الموت بجناحيه السأمين كل من يعكر صفو الملك"، رحمتك يا أخناتون، رحمتك يا ملك الملوك ورب جميع الآلهة، احمِ توت عنخ أموت من أي اعتداء ممكن أن يصيب قبره، أحمي يا صقر القوة قبره، أحميه يا أخناتون العظيم، يا شعب طيبة: أعلنوا دفن الملك رسميًا.

ثم عادوا من نفس الطريق بعد رحيلهم بقليل، ظهرت فتاة من العدم، شعرها أسود قصير، ترتدي تاجًا عليه نقش لثعبان، وفستانًا أسود يصل لمنتصف ركبتها، وحذاء ذهبيًا طويلًا، جلست بجانب قبر توت عنخ أمون، وبكت وقالت:

– لقد أحببتك يا ملك، لماذا تركتني؟ ألن تشتاق لجلوسنا على النهر، ويدك العظيمة تداعب شعري؟ لسانك الذي التف حول لساني لن يعيدك للحياة؟ هل وضعوا معك كل ما يلزمك لتعيش في الجنة؟ أهديتني تاج أصله يرجع لزوجة الملك النمرود، سأحافظ عليه كما سأحافظ على حبك في قلبي حتى ألتقيك في جنتنا.

ذهل من شدة صدقها وحبها لزوجها وأخيها في نفس الوقت، تحرك وراءها حتى القصر العظيم المرصع بالذهب، صعد وراءها غرفتها، أخرجت زجاجة الحبر و ورقة من البردي وكتبت فيها:

– أنا عنخ أس أمون زوجة الملك توت عنخ أمون، أرسل لك يا ملك الحيثيين هذه الرسالة بعد وفاة زوجي، أنا ملكة مصر، بالطبع بعد وفاة زوجي سيزوجونني لأي مصري ليكون الملك، وأنا كارهة لكل المصريين،

حتى زوجي، كنت أعيش معه لمجرد أن اسمينا "زوجان"، لم أحبه يومًا، كرهت عكازه الذي يسير معه دائمًا، قدمه المقوسة أرهقتني، أطلب منك يا ملك الحيثيين أن ترسل لي واحدًا من أبنائك ليتزوجني وأعطيه مصر بخيرها على أن يعاهدني بعدم خيانة طيبة.

إمضاء

ملكة مصر عنخ أس أمون.

***

سيدة متغطرسة تصرخ في وجه فتاة جميلة:

– أنتِ مجرد جارية يا دونا مارينا.

فدخل هيرناندو كورتيس (فاتح إسبانيا القديمة،المكسيك حاليًا) عليهم، أنزل الاثنان رأسيهما تحية له، فسأل السيدة العجوز:

– صوتك عال يا رئيسة الخدم؟

فقالت:

– مولاي، هذه الفتاة تتناقش معي.

فقال بغضب:

– من حقها أن تتناقش معك.

ثم نظر لها وقال:

– تعال معي يا فتاتي.

فسارت بجانبه وجسدها يرتجف، دخلوا غرفة طويلة مليئة بالكتب، جلس الملك على مكتبه العظيم، وأشار لها بالجلوس أمامه، وقال بحنان:

– لا يجوز جميلة مثلك أن تكون جارية.

فقالت بغنج:

– أنا جارية تحت قدمك يا مولاي.

فنهض من مكانه، وجلس أمامها واضعًا يده على شعرها، وقبّلها قبلة طويلة، قال تله:

– أستطيع أن أُترجم لك من الناهيوتل إلى المايا.

فأعجب بها كثيرًا وقال لها:

– ستكونين أنتِ ومترجمي الآخر ذراعيَّ.

فقالت له بخوف:

– هل سأخون شعبي لتحتل إسبانيا؟

فقال:

– هل الملايين من القطع الذهبية لن تساعدك؟

فقبلته، وقالت:

– تحت أمرك يا مولاي.

بعد مرور يومين:

جلست دونا مع المترجم الآخر، واستطاعوا بقـــوة اللغـــة أن يحتلـــوا إسبانيا الجديدة "المكسيك حاليًا" لتكون من ألعن النساء على مر العصور.

***

كتب يحيى في مدونته:

"دائمًا هناك سبب للخيانة، قد يكون نفسيًّا أكثر منه جسديًّا، أسباب الخيانة جميعها بسبب ضعف شخصية الخائن، وظنه أنه قوي بما فيه الكفاية لكسر قلب من يخونه، فالخيانة دائمًا تحدث في الغرف والقاعات المغلقة، وإن كان صريحًا يعلنها على الملأ دون خوف، فلماذا خنت! لماذا علقت قلب بك ثم تركته في منتصف طريقه حائرًا؟ هل يضغط على كرامته ويكمل طريقه معك أم يضغط عليك أنت ويتركك في المنتصف ويلوح لك بيده وهو في نهاية المطاف؟! نحن كائنات هشة أكثر من النمل، من يهمس في أذننا بكلمتين نسير خلفه بلا وعي كالنعامة التي قتلت نفسها، الصقر من قوته يضرب منقاره في الحائط فيسيل دم على ضحاياه السمك، فيعلمون أنه قادم فيهربون، ذكاؤنا خارق للدرجة التي تقتلنا".

***

- كيف بدأ الخلق يا يحيى؟

سأل عربي.

فأخذ يحيى نفسًا عميقًا كأنه سيجري لمسافة طويلة..ثم قال:

- بداية الخلق نفسها لن يستطيع أي بشري التحدُّث عنها؛ لأنها أشياء اختصَّ بها الله نفسه في علم الغيب عنده مثل الكثير من أسمائه المعظمة لا نعلمها نحن البشر.. لكن بداية الخلق كخليقة لم تكن من عند آدم عليه السلام، بل كانت من قبله بمئات السنين.. فبحسب الدراسات الفلكية إن الألف عام عندنا بيوم من الزمن عند الله، ولدت الكائنات الكبيرة في الأرض مثل الديناصورات والتنانين والماموس وغيرهم الكثير بدون أرض يقفون عليها ولا جنة ولا نار ولا موت.. فخلق الله جميع الكواكب والمجرات ككتلة واحدة، ثم قسّم الله الكتلة لنصفين فخلق الجنة في نصف، والنار في نصف آخر ثم خلق الملائكة ثم الجان.. فعاشوا مع الحيوانات الضخمة في سلام.. ثم خلق قسم الله الأرض مرة أخرى لأربعة أجزاء متساوية فخلق آدم وأمر الملائكة أن تسجد له فسجد الجميع إلا إبليس

والقصة المشهورة، وشجرة الخلد الذي استطاع إبليس أن يدخل عقل أدم من خلالها.. ثم رفع يده اليسرى وقال:

كان باستطاعة إبليس أن يدخل الجنة وقتما يشاء قبل غضب الله عليه.

بكل بساطة استطاع إبليس الضحك على أوائل البشر أنها جنة الخلد، لم يذكر القرآن إذا كانت تفاحة بالفعل أم فاكهة أخرى، وقال عنها:

"شجرة الخلد" ثم عاش آدم وحواء على الأرض فأصبحت بشكلها الحالي المتعارف عليه.. ثم خلق الله مهلائيل قوي.. أقوى بشري خلقه الله.. ليبارز إبليس بجيشه القوي.. جيشه المكون من ملائكة وبشر، وحيوانات كبيرة سخرها الله له.. إبليس جيشه مكون من مردة وغيلان أقوياء.. فاستطاع مهلائيل الانتصار عليه بعد حرب دامت مائة ألف عام أرضي من أعوامنا.. قبل بداية الحرب بسنوات قليلة بنى مهلائيل وجنوده مدينة بابل المحصنة بأمر الله.. فعاش فيها مهلائيل وجنوده حتى مات مهلائيل، وهناك باحثون يقولون إن مهلائيل لم يمت وهو ملاك من ضمن ملائكة الرحمن والبعض الآخر يقول إنه بشري لكن ميزه الله بصفات معينة.. لكنني أميل للرأي الأول.. أنه ملاك من ملائكة الرحمن.. لأن سيدنا سليمان دعا الله بملك لم ولن يمتلكه بشري غيره فاستطاع أن يكلم الملائكة والحيوانات، وأنا رأيته نورًا فقط لم أره كجسد..ثم زاد تحصين بابل بقوة الملكين هاروت وماروت الذي أنزلهما الله على سليمان ليؤكدا للبشر أنه رسول الله وليس ساحرًا يمكنه التحدث مع الحيوانات ويقوما بخدمته، كل هذا لم أراه رؤية

نظرية،الله اختص بها أناس معينة، أنا فقط رأيتهم كصور متحركة أمامي، وهذا بسبب أن الزمن مطاط لا يمكن تقديمه أو تأخيره.

فقال عربي:

– تخيل لو خلق الله البشر ثم أبادهم ثم خلق الحيوانات والجن؟

– علميًّا،ودينيًّا مستحيل حدوث هذا،لأن التمهيد كان عند الحيوانات الكبيرة، الحيوانات أخذت شكلها القديم ثم بدأت تنكمش تلقائيًّا حتى أصبحت بشكلها الحالي، ونحن البشر كذلك، شكلنا جميعًا أختلف تمامًا، كنت أصحاب جسد طويل عريض يفوق عرضه نصف قطر الجبال، حتى انكمشنا وأصبحنا هكذا.

***

القاهرة، عام 2032

مسرح كبير مليء بالمشاهدين، رجل يقف في منتصفه يرتدي قميصًا أبيض عليه سترة سوداء وبنطالًا من نفس لون السترة وحذاء أبيض، قال بنوع من أنواع الترحيب:

- رحّبوا معي بالآنسة مي حسنين، أخت العالم الفيزيائي الذي استطاع أن يتجول حول الماضي د. يحيى حسنين.

فارتفعت الصيحات والتصفيق الحار لها، دخلت فتاة جميلة، شعرها يصل لمنتصف ظهرها بنعومة، عينيها سوداء مثل أمها، خداها عبارة عن ورود في مزهرية، وقفت بجانبه وقالت:

- أشكركم جميعًا على حضوركم اليوم، اليوم أكشف لكم أسرار أخي، اليوم الذي توفي فيه أخي رأيته يقف فوقي، نظرت له، أحسست بكهرباء سارت في جسدي،ومن يومها لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير فيه وفي جهازه العجيب، بحثت في كل الكتب العلمية، سألت كل علماء الفيزياء أكدوا لي أنه من سابع المستحيلات، لكن إحساسي كان يتهمهم بالكذب، فعلها أخي الأكبر من سنين، الآن أنا وهو نحاول في طريقة ليؤكد

لكم أنه سافر عبر الماضي، سواء معقولة أو لا، صدقًا سيخرس كل المشككين في أمره قريبًا.

استيقظ يحيى من نومه في كهف كبير، قام من مكانه ليستكشف الكهف، فجوات الكهف وخاصة موضع دخول الشمس إليه فتبين له أن فتحة الكهف الجنوبية كان اتجاهها الجنوب الغربي، فإذا وقف شخص داخل الكهف في وقت الأصيل ازورت الشمس عن الكهف ذات اليمين، ومرت أشعة الشمس بقوتها أمام الشخص الواقف تكشف المرائي والآفاق.

وحين تتوسط الشمس السماء لا يدخل الكهف منها شيء، وإذا مالت نحو الغروب دخل قسم من أشعتها فجوة الكهف.

فتذكّر قوله سبحانه تعالى:

" وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا".

فنظر يمينه فرأى الكلب باسطًا ذراعيه على باب الكهف ليرعب الداخلين، ومجموعة من الفتية ينامون في وضع الرقود شكلهم مرعب وملئ القلب منهم رعبا، وتشرق الشمس وهم ذات اليمين، وتغرب وهم ذات الشمال.

فسأل نفسه:

- لماذا ألقى بي الله هنا!

قبل أن يشغل عقله في التفكير نظر إلى يمينه، شيخ كبير، أمامه القليل من الحطب، يأتي من الخارج صبي لا يستطيع إنسان أن يصف شكله من شدة جماله، فيقول له:

- إني رأيت أحدى عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين!

فقال له الشيخ:

- يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا!

ثوانٍ معدودة، غيم اليل، ثم أضاءت الشمس بنورها مرة أخرى، تدخل عمة يوسف على أبيه تخبره أن "ابن عمه" لا يجد صنمه.. بحثوا في المنزل فوجوده في متاع يوسف.. فلم تحزن العمة فاحتضنت يوسف بشدة وضمته لها..فكسر يوسف الصنم أمامها، فلم تبدِ اعتراضًا بعد هذا الموقف بمدة قليلة ماتت العمة، فدخل إخوة يوسف على "يعقوب" قائلين :

- يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون.. أرسله معنا غد يرتع ويلعب إن له لحافظون.

فقال الشيخ:

- إني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون.

- فقالوا بنوع من القوة:

- لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذًا لخاسرون.

تمر الساعات القليلة في إقناع الاب.. فوافق الأب أخيرًا بعد تعب شديد من الابن الأكبر.. يمسك الإخوة يد يوسف، يتشاورن فيما بينهم كيف يتخلصون منه! فقال أحدهم:

– ألقوا به في غيابات الجب، ليلتقطه بعض المارة!

فألقوا به، وبعد العشاء بقليل دخلوا على أبيهم يبكون..

فنظر له يعقوب فقال أخوهم:

– يا أبتِ لقد مات يوسف!

فصرخ يحيى قائلًا:

– لا ..لا.. الذئب بريء يا يعقوب!

صوت ارتطام باب حديدي،امرأة تتمايل وتتغنج، وقالت:

– هيت لك.

فاقترب منها يوسف بدلال، ثم توقف عن التقرب،وصرخ فيها يوسف:

– لا إني أخاف الله!

فضحكت واقتربت منه فاستبق يوسف للباب، فقطعت قميصه من خلف، رآهما زوجها، فقالت بنبرة مستكينة:

– ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا؟!

بدا الغضي يدب في ملامحه.. فاستكملت كلامها:

- إلا أن يسجن أو يعذب عذابًا أليمًا.

فقال يوسف بعزة نفس:

- هي راودتني عن نفسي.

فقال رجل من أهلها:

- إن كان قميصه قُضَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين.

سار يحيى في الطرقات فاستمع لنسوة المدينة يتحدثن عن ما فعلته زوجة العزيز، وعندما علمت هي ذلك دعتهم لحفل كبير وأحضرت لكل منهن طبقًا كبيرًا من الفاكهة وسكينًا،وأدخلت يوسف عليهن.. فقطعن أيديهنَّ بدلًا من الفاكهة، وسُجن يوسف.

***

يحيى في السجن بجانب يوسف، يضع رأسه بين قدميه، يجاهد عقله للوصول لفلسطين عام النكسة، صوت رصاص ينساب من حوله، رفع رأسه نساء يبكين، أطفالا تصرخ، رجالًا تحارب، أرضًا تملؤها النار، أرضًا لا صوت يعلو فيها عن صوت العويل، توقف الكروان عن الغناء وأخذ يدعو الله أن ينجيه من الرصاص الطائش، يوم يشبه يوم الخلاص، الكل يجري هنا وهناك، تحرك يحيى حولهم، سمع صوت سيدة تقول:

"لن أترك بيتي، لن أترك بيتي".

فضربها العسكري الإسرائيلي بطلقة قتلتها في الحال، وقف مكانه، جسده تجمد، صرخ شاب من خلفه:

- أمي.

ويهرول ناحية العسكري ويده بها سكينة غليظة، فضربه عسكري آخر بسكين في قلبه، وقف الجميع ينظرون تجاههم، تحرك الشباب الفلسطيني بإجماع تجاه العسكري، فصرخ العسكري طالبًا للرحمة، فلم يكمل جملته إلا وضربه شيخ كبير بالعصا على رأسه، تجمعت عليه الأيادي والسيقان، غرق في بحر من دمائه.

خرج يحيى من وسطهم تجاه جثة الشاب القتيل، نظر في عينيه مباشرة، فابتسم له الميت، فكان الميت هو عربي!

كتب يحيى:

"عقلي من شدة حبه في كهف الرقيم ويوسف آمر جسدي بالذهاب لهم، الكهف مرعب من الداخل، ويوسف جميل، لا يضاهيه جمال وعربي صادق، مات بالفعل عام النكسة العربية، لذلك هو حي، لأنه شهيد! وهل أنا أيضًا شهيد! يا الله ساعدني".

***

مي تصرخ على المسرح:

- تواصل معي أخي عن طريق إشارات فيزيائية معقدة، لم أعش معه إلا سنتين فقط من عمري، لكنه تواصل معي في أثناء نومي، كنا نأكل من طبق واحد، نشرب من نفس الكوب، أعلم أنكم تكذبونني، لكن قسمًا بعزة نفس يوسف عليه السلام، أخي لم يتركني يومًا"

بكى يحيى من فوقها بسبب صدقها الشديد في حبه.

***

قال عربي وهو يأكل:

- اذهب للهند يا يحيى وتعال لتقص عليَّ كيف يعيشون بكل هذه الأديان؟"

فأغمض عينيه وسافر للهند في لحظات.. وقف بين مئات البشر.. على يمينه مسجد، ونهاية الشارع كنيسة، وخلفه تمثال بوذا الضخم وأمامه معبد يهودي كبير، فصرخ طفل صغير قائلًا:

- أين الله من بين كل هؤلاء؟

فصرخ فيه من رسم على يده الصليب:

- الله هو المسيح ابن مريم.

فهلل الذي يرتدي جلبابًا أبيض وعمة:

- الله في كل سجدة تسجدها له.

فصرخ الذي يرتدي الكثير من العقود في رقبته:

- الله هو ذلك التمثال الضخم.

ليضحك من يرتدي عباءة عليها نجمة زرقاء:

- الله في التوراة.

ليقتحم الحديث رجل يُمسك خنجرًا ويضرب ظهره به:

- الله يحبك عندما تُضحي بجسدك من أجل الحسين.

- الله هو عقلك ثم النباتات.. لا يوجد الإله من الأساس".

شاب يرتدي قميصًا وبنطالًا.

فقال الطفل:

- لن أصدق أحدًا منكم.. سأبحث عن الله بمعرفتي.. سأقرأ الإنجيل والقرآن والتوراة، وأتحدث مع التماثيل الكبيرة ومع الكاهن ومع الشيخ ومع الملحد ومع اليهودي.. أنا سني صغيرة لكن عقلي كبير.

اقتحم صوت الجرس الأذان مع نداء المعبد وصرخة منادي البوذا!

جلس الطفل في ركن متروٍ عن أعين الجميع وأخرج من جعبته خبزًا مع قطعة جبن وقال بتأفف وهو يأكل:

- هل الله فقير لهذه الدرجة؟ هل الله فقير لدرجة أنه يتركني جائعًا طوال اليوم ليتعارك هؤلاء الحمقى على هويته.. لماذا لم يكشف لنا من هو؟

أنا الآن أشعر بالجوع، وأريد أن آكل..إذا وصل لي طعام الآن سأصلي لرب المسلمين وأتبعه.

فتحركت أمامه عربة تنقل أنواع عديدة من الفواكه...فحرك يحيى صندوقًا منها فسقط أمامه فقال الطفل بفرحة:

- آمنت بك يا إله المسلمين"، وهرول للمسجد ليلحق بصفوف المصلين!

فكتب يحيى:

" البشر حمقى.. يأكلون بعضهم البعض وينسون الفقراء"

فابتسم وهو يقول:

- مثل حكومات العرب.. يتصارعون مع بعضهم البعض بالسلاح ويدعون الله على من يحتل الأقصى! كفى حماقة أرجوكم!

ثم كتب:

"كيف حركت العربة! كيف لمستها! هل زيارتي للهند كانت في الماضي أم الحاضر؟!"

***

"الله أكبر الله أكبر".

يوم الجمعة، عيد المسلمين أجمع، اليوم الذي يركع فيه من لا يركع، يحيى يرتدي جلبابه الأبيض، يدخل المسجد، يقرأ سورة الكهف، جذب انتباهه المدة التي نامها أهل الكهف في كهفهم، ثلاثة مائة سنة وازدادوا تسعة، كيف ناموا بدون أن يراهم أحد؟! لم يستطع أن ينام ليلته بسبب تفكيره في هذا، فاستطاع حينها أن يضع معادلة رياضية جديدة داخل جهازه بسيط الصنع.

شعر بالحيرة الشديدة من نفسه أنه لم يبحث في الكتب الدينية عن أي رحلات السفر عبر الزمان! كيف لم يلحظ أن عيسى عليه السلام رُفع من الأرض للسماء! ورحلة الإسراء والمعراج! وبناء نوح السفينة! وولادة مريم وهي عذراء! وكثير من الشخصيات التي لم يدرسها جيدًا، فجمع آيات الله مع العلم الحديث واستطاع أن يكتب معادلات معقدة أكثر من معادلات أينشتاين وفيثاغورث.

الكثير من المتاعب والمشكلات الجسدية والنفسية التي حاوطته من جميع الجهات، أمه تعنفه دائمًا، أخوه يصفه بالمجنون، أخته تضحك في وجهه، وكأنها تقول له:

"لن أكذبك يومًا".

حبيبته تتصل به يوميًا تنصحه أن يبتعد عن هذا "الشيء" على حد قولها، أهلها مصرون على إبعادها عنه.

"هل ستتزوجين مجنونًا؟"

سؤال تردد كثيرًا على لسان والدتها ووالدها، فكانت تدافع عنه وتقول:

"أبي، أمي، الرسول نفسه اتهموه بالجنون"

ليرد الأب:

"انتهى زمن المعجزات، مُحمد آخر معجزة بشرية".

لتقول:

"لكن أحفاد مُحمد هم معجزات أخرى".

لتقتحم الأم الحديث وتقول:

"يوسف ابن أختي يريدك أن يتزوجك".

لتصرخ الفتاة:

"لا، وألف لا يا أمي".

ليصرخ الأب لتهدئة الموقف:

"سنة، سنة يا منار، الحد الأقصى ليحيى سنة".

تدخل الفتاة غرفتها، تمسك هاتفها، تتصل بيحيى:

"يحي، أيمكنني أن أعرف متى سنصل لمنتصف الطريق؟"

ليرد عليها يحي بكل هدوء:

"خمسة شهور وسنصل لأكثر من المنتصف".

لتصرخ هي:

"أنت أرهقتني من محاولات تهدئة أبي وأمي، ساعدني يا حبيبي، ساعدني أرجوك".

ليقول لها:

" أنا وأنت في آخر عام دراسة، باقي سبعة شهور وننهي آخر امتحان، أعطيني منهم خمسة فقط".

لتقول له بحزن مكتوم:

"افعل ما شئت يا حبيبي".

ليقول لها بفرحة:

"أحبكِ"

فنظرت روح يحيى لها، دموعها ترفض النزول:

"لقد جرحتها كثيرًا يا فتى"

هكذا ردد يحيى في عقله.

لم يستطع أن يشاهد أكثر من هذا، لكنه جسده رفض التحرك، وكأنه يريده أن يرى شيئًا معينًا.

***

القاهرة.. يوم الرحلة:

يستيقظ من نومه ويصرخ قائلًا:

"وجدتها، وجدتها"

يهرول لعمله، يقف أمام جهاز كبير، يبتسم له ابتسامة انتصار، يفتح ذراعيه على مصراعيهما، يظهر في انعكاس الزجاج جسده النحيل وشعره الأجعد وعيناه العسليتان المختبئتان تحت نظارته الطبية، يظهر عليهم الإرهاق والتعب منفوختان من قلة النوم، وجهه عليه النصر المريح، عيناه تذهبان يمينًا ويسارًا على أركان الجهاز، فتح الباب الزجاجي، من الداخل لوحة حاسوبية عليها أرقام ضغط على أرقام معينة وهو يتمتم:

"يا رب.. يا رب.. يا رب"

ظهر على اللوحة الحاسوبية:

"من فضلك انتظر ثلاثين دقيقة".

أخرج هاتفه، اتصل بحبيبته:

- نعم، نعم .. لقد نجحت يا عزيزتي، جهاز الرجوع بالزمن نجح، ثلاثين دقيقة فقط وسأسافر لكل العصور وأقص عليك ما حدث، سأبدأ من أول آدم عليه السلام حتى يوم مولدي، لا يا عزيزتي لا، أنا لست بمجنون، سأنجح، وسأصف لكي طعم النجاح، سأسرد لكي كل ما رأيت، ألقي التحية على والدك ووالدتك وأخيك الصغير، الوداع يا عزيزتي، الوداع.

أنهى مكالمته وهو يقفز من الفرحة، غسل وجهه وارتدى قميصًا أزرق من أسفله ورقة كتب فيها كلام كثير ومعادلات رياضية، وبنطالًا أسود، وبطاقة تعريف الشخصية "يحيى حسنين"، ووضع قلمًا ومدونة ليدون كل شيء.

وقف مرة أخرى أمام الجهاز، فتح الواجهة، الشاشة في حالة العد التصاعدي بعد مرور خمس وعشرين دقيقة، ست وعشرين، سبع وعشرين، أخذ نفسًا عميقًا، دخل بكامل قواه العقلية، ثم كتب على شاشة أخرى على يمينه.

"فلنقم برحلتنا"

فأحست روح يحيى بإحساس رهيب، شعر أن جسده الحي وروحه المسافرة يلتقيان مرة أخرى.

يتغير لون وجهه، فتصرخ روحه، يشعر أن جسده يتبخر، روحه تصبح أقوى، يهتز الجهاز بقوة، فتهتز روحه المسافرة، يبكي من الألم، تضحك روحه من السعادة، جسده المدفون يشعر بدخول الروح، الروح تشعر

بملمس الجسد. أمامه أبواب كثيرة مكتوب عليها حقب زمنية، وباب كبير مكتوب عليه:

"الجميع يفتح الأبواب ليذهب لمكان ما، أما أنت تقول فقط".

يفتح عينيه وهم يضعونه تحت التراب، يأبى لسانه التكلم، يسمع الفاتحة تُلقى عليه، الإمام يدعو له، فيغلق عينيه بهدوء كدلالة على انسحابه من معركة الحياة، ويستنشق رائحة الرمال وهي تنزل على جسده، لتنتهي حياته إلى الأبد، وكُتب على قبره "يحيى حسنين"

***

- أنا بالفعل ميت يا عربي! رأيت نفسي وأنا مدفون، روحي فقط هائمة.

- ألم أقل لك يا عزيزي؟ نحن هنا أموات.

ينفخ عربي دخان لفافة التبغ التي تتحرك بين شفتيه، يبحث يحيى عن سبب مقنع لما هو فيه الآن، كيف يتذكر حدث ويذهب إليه؟ فأنزل رأسه لأسفل ورفعها في غمضة عين وقال:

- كيف نكون أموات وأنت تدخن!

فضحك عربي حتى دمعت عيناه:

- الجنة ليس بها أي ممنوع يا رفيق.

فصرخ فيه يحيى:

- بالطبع لا! السجائر تُذهب العقل، وهذا حرام!

فوضع الأول يده على كتف الثاني برفق، وقال:

- يا رفيق، الجنة ليست الجنة فقط، الجنة كل شيء تجد فيه نفسك، قد يرى البعض الموت جنة، وآخر يرى زوجته جنة، وهناك ضائع مثلي التبغ بالنسبة له جنة! يا رفيق، نحن لم نقف بين يد الرحمن حتى وقتنا هذا، معنى هذا إننا لم نمت، أجسادنا فقط في حالة سبات عميق، أما أرواحنا تتجول بين الزمان والمكان.

فقال يحيى بصدمة رهيبة:

- زمكان!

***

معمل العبقري ألبرت أينشتاين، يردد بصوت مسموع:

– الزمكان لا يخضع لأي مؤثرات، الزمكان لا يخضع للهواء ولا ماء ولا مكان.

إشارات الزمكان عبارة عن أربع عناصر، أ، ب، ت، ث، أول ثلاثة للمكان والرابع للزمان..مربع يشبه المثلث، ومثلث يشبه المستطيل، الثلاثة فوق، والرابع تحت.

ثم فتح المصحف!

فغر يحيى فاه، فتّش ألبرت في صفحاته، فتح سورة الكهف، ثم ردّد بلهجة بصوت عربي متقطع:

"لبثوا في كهفهم ثلاثة مائة سنين وازدادوا تسعة".

ثم أغلق المصحف بهدوء شديد ونظر للأعلى وقال:

– لو اعتبرنا أن هناك كرة في الفضاء لكنها مختبئة وراء كوكب وأردنا البحث عنها، سنبحث عن الأجسام المعدنية عن طريق أحساس الجاذبية المنعدمة، فتطير الكرة.

صرخ قائلًا:

– الورق! الورق فقط من يمكنه مبارزة الجاذبية، الورق عبارة عن جسيمات تنافس الأبعاد الثلاثة للأبعاد، لذلك لو اعتبرنا أن الكرة ورقية سنجدها بسهولة ونمسكها في يدنا بسهولة، ولو قذفناها ستذهب للماضي عن الطريق النزول والحاضر عن طريق الصعود، وستشق طريقها للحاضر ويمكنها الذهاب ليوم الخلاص، الزمن مطاط بالنسبة للجاذبية، لا يخضع للمؤثرات البصرية والسمعية، لو قذفنا ورقة في الثقب الدودي سيصل للماضي الذي يعتبر الحاضر من يوم الرحلة الفضائية.

فتفاجأ يحيى بنفسه يتحدث ويقول كأنه في محاضرة أمام طلاب:

– كيف نام أهل الكهف ثلاثة مائة سنة بدون أن يراهم أحد! وكيف استطاع العظيم مُحمد والصديق من الاختباء وهم تحت أرجل الكافرين، هل الإشارات الفيزيائية لها دور في ذلك! إذا رسمنا المربع المائل ليصبح شكله قريبًا من المثلث ووضعنا الحروف الأربعة، لوجدنا أنهم يعطوننا شكلًا قريبًا من خيوط العنكبوت، وأيضًا شكل فراش مائل ينام عليه أهل الكهف.

ثم صمت للحظات، وقال:

– النور من الأساس إشارات لا سلكية تسير في الأسلاك لتنير المصابيح، وعندما تحولت يد موسى بيضاء من غير سوء!

كيف تحوّل لون يده إلى الأبيض في لحظات، الأوردة الدموية في يد الإنسان ممكن أن تتحول أسلاك تنقل الإشارات الفيزيائية؟

القلب المنير ينير وجه الإنسان، هل ارتباط اليد والجسد بأكمله بالقلب النقي الطاهر السبب في تحويل يد موسى الي اللون الأبيض؟

أم الخالق له آيات ودلالات في كل هذا! هل الله يفعل المستحيل ليقنع الكافرين به!

أغمض يحيى عينيه للحظات.

***

ساحة كبيرة في مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا، تتحرك مي وتفك شعرها من رباطه، يطير خلفها كالماء عندما تلقي فيه حجر، يجري وراءها "مازن" ويصرخ:

– مي، مي.

فتقف وتلتفت له، فيقول لها:

– أنا مازن زميلك، سمعت عن كلامك مع أخيك وأنه سافر عبر الزمن.

فقالت:

– والمطلوب؟

فقال:

– أتمنى أن نجلس معًا، ونتحدث.

– لماذا؟

– مشروع تخرجي عن الزمكان، وأتمنى أن تساعديني.

فقالت:

"موعدنا غدًا في المكتبة بعد صلاة الظهر".

***

بعد مرور يوم..

ينتظرها مازن في المكتبة، يقرأ رواية فرنسية مترجمة للغة العربية، دخلت مي وسحبت كرسيًّا من أمامه وجلست، رحب بها وقال:

– في البداية شكرًا لك علي جلوسك معي، أنا مشروع تخرجي عن النظرية النسبية.

فقالت:

– النظرية النسبية بالنسبة لي أنا، ويحيى غير الجميع، نظريتنا عبارة عن اختلاف الزمان فتواصلنا عبر فتحات زمنية معينة اكتشفها أخي عندما سافر عبر الزمن، تواصل معي أخي ذات ليلة بين ثنايا كتاب، كان عمري حينها لم يتعد الأربع سنوات.

فقاطعها:

- هل الزمن عنده مثل الزمن عندنا؟

فقالت:

- نعم، الساعة عنده ستون دقيقة مثلنا، وتمر مثلنا، لكن الفراق بيننا وبين أجدادنا طريقتنا في ضياع الوقت، هم كانوا عباقرة في الاستفادة بالوقت، الآن إرادتنا مسلوبة مننا بفعل عوامل كثيرة لم تشغلهم، الإيمان والعمل والحب والمجهود البدني عندهم نسبي متغير، الطعام عندهم أخف، الزواج أسهل، حتى العلاقة الجنسية أسهل، لم تتشوه بأي مؤثرات كيميائية كأننا أصبحنا آلة تنتج كيمياء من أجسادنا لنعيش، الكيمياء العضوية تدرس البنية التحتية للمواد الكيميائية، باستخدام الميطافية، إذا غيرنا نوع دراستها ستغير بالتأكيد أسمها، الفلسفة مثلًا، إذا درست النفس الإنسانية كصفات داخلية وتكوين عضوي سيتحول اسمها لأحياء، حينها سيتحول رجال الفلسفة لرجال أحياء، والعكس صحيح، خلاصة القول، تحول أخي من فيزيائي إلى عالم شامل، دمج الفيزياء بالكيمياء بالفلسفة بعلم النفس، وأخرج لي نفسه كروح تتبعت خطواتي في كل شيء.

فقال متسائلًا:

- ومتى ماتت هذه الروح؟

- ماتت عندما سلّمت لي الأمانة كاملة.

- وما الأمانة؟

- عقله الذي دوّن أفكاره على ورق تسلمته يدي.

- هل رأى الله؟

- جميعنا رأينا الله، ألم تسمع جدتك تقول لوالدك: "شوفت ربنا"، ربنا حتى وقتنا هذا لم يستطع أي عالم أو رجل دين أن يحدد ما هو، هل شخص مثلنا لكنه كبير الحجم؟ هواء؟ إشارات؟ نور؟ لا نعلم ماهيته، كل ما نعرفه عنه أنه قوي، مهيمن، جبار، متكبر، عادل، ينير الكون بنوره، ثم يعكس نوره على القمر لينير الظلام، يطفئ نار قلوبنا المشتعلة، يساعد العقل على التفكير، لم يرَ أخي الله، لكننا جميعًا رأيناه

فلمعت عينه من شدة إعجابه بكلامها:

- هل دون هو كلامك هذا في المدونة؟

- لا، هذا علمي الشخصي يضاف عليه الكثير من علمه الكبير

- أنتِ جميلة!

فاحمر وجهها من الكلمة وقفزت من مكانها واستأذنته ورحلت

فنظر إليها وهي تغادر، وابتسم.

***

يصرخ عربي في أذن يحيى:

- استيقظ يا رجل، لقد وصلنا للمريخ.

فتح عينه سريعًا بفعل صوته العال، نظر يمينه ويساره، إنه بالفعل على ظهر كوكب المريخ، كوكب أحمر اللون، به فتحات كثيرة، طار عليه، هلل من السعادة، نظر أسفله، وجه إنسان محفور على الأرض، هبط له بهدوء، وصرخ قائلًا:

- انظر يا عربي!

فجاء عربي من خلفه، نظر للأرض، وجه إنسان محفور بدقة، العين والأنف والأذن والفم، وضع يحيى يده على النقش، منقوشة بشكل مذهل، وضع يده على ذقنه، بها آثار لحية، فنظر الاثنان بعضهما لبعض، ويتساءلان داخلهما:

"ما هذا يا رجل"؟!

فأغمض يحيى عينه وتمنى أن يعرف سر هذا النقش.

***

رجل يظهر عليه القوة، طويل القامة يرتدي ملابس عامة الشعب في أول الزمن، تخرج من رأسه ضفيرتان من الشعر.. فكانتا مثل قرنين كبيرين، لذلك سمي ب"ذي القرنين"، يهرول له شيخ كبير، ويقول له:

- يا ملكنا العظيم، إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض.

فنهض من مكانه فأكمل الشيخ:

- فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا؟

فقال:

- ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا.

فبنى سورًا كبيرًا يفصل بينهم وبين البشر العاديين، فخرج من وسط قوم يأجوج ومأجوج أقوى ما فيهم، وصرخ قائلًا:

- لتحاربني يا ذا القرنين؟

فابتسم وقال:

- إن الله جعلني أقوى بشري في الأرض.

فهرول له فوقف ذو القرنين مكانه لم يتحرك، وعندما وصل له أمسكه من رقبته وقفزا معًا، فتجاوزا حاجز الكرة الأرضية ووصلا للمريخ، وضع

ذو القرنين وجهه على أرض المريخ، وضغط عليه بقدمه ورمى جسده في الفضاء الواسع، وقفز من فوق المريخ للأرض، مجرد وصوله للأرض تكونت حفرة من أكبر حفر الأرض "شمال شرق آسيا" ليقول العلماء إنه أول نيزك سقط على الأرض في انتظار المزيد، لا تنتظروا المزيد، لقد مات ذو القرنين كأي بشري نهايته الموت.

***

– تبًّا للسامريين يا يحيى.

– هل تقصد أتباع السامري؟

– نعم، أشك أنهم السبب في هلاك فلسطين.

– السامري أضل الكثير.

– نعم، المغفلون كثر.

– أين نحن الآن يا عربي؟

– العلم عند خالقنا.

النهر ينساب من تحتهم، شمس النهار تشرق بهدوء كأنها تستأذنهم، لتكشف لهم معالم المكان، مزرعة كبيرة بها الكثير من الزرع، فتح الراعي باب كبير خرج منه عجل له خوار، ثم سجد له، وأمسكه من رقبته حتى وصلوا لساحة كبيرة تجمع حوله مجموعة من أهل المنطقة وسجدوا له وعبدوه.

فصرخ عربي:

- أين السامري! سأقتله.

فهدأ يحيى من روعه:

- السامري مذكور في القرآن، لن يستطيع أحد أن يغير حرفًا ذُكر.

فخرج من وسط التجمع "السامري" وعلى وجهه ابتسامة سخرية، وقال:

- لقد رأيت ذلك الجبريل، لم يستطع أن يواجهني ففر بفرسه.

فهللت له الجماعة.

فقال يحيى بنبرة سخرية:

- نعم نعم، فر بسبب رؤيتك العطرة.

فلم يفهم عربي وقال:

- ما رأيك يا رفيق في من يسجد لأي صنم كأنه إله؟

- عبارة عن شخص ترك عقله على تل كبير لتأكل منه الطير الجائع والذئاب ويقف عليه الذباب.

- هل كنت فيلسوفًا يا فتى قبل أن نلتقي؟

ابتسم قبل أن يجيب وقال:

- الفلسفة شيء عظيم يا صديق، لكن للأسف عباءتها لم تأتِ على مقاس عقلي.

- هل تقصد أن عقلك أصغر؟

- أكبر يا عربي، جلوسي معك هنا أكبر دليل على كبر عقلي.

القاهرة، عام 2025

قابلني أخي أول مرة اليوم العاشر من مارس عام ألفين وثمانيـــة عـــشر ميلاديًا، عمري حينها كان أربعة أعوام، كنت نائمة على فراشي، أتقلـــب ذات اليمين وذات الشمال، شعرت به، كنت أقرأ قصص مصورة، قطـــع ورقة من المنتصف، ورسم بها حروف اسمي

المرة التي تلتها:

أخي يقف أمامي يرتدي ملابسه الأخيرة، يبتسم ويفـــتح ذراعيـــه لي، خوفت منه.. جريت أسفل فراشي، فنادى لي كالعادة "منمـــنتي" شـــعرت بالحنين لصوته، مددت يدي له، جلس على ركبتيه، قبل يدي، أخرجت له نصف جسدي، حملني بين ذراعه، وضع قبلة على جبيني، وقال لي:

– سأقول لك كل أسراري يا منمنتي.

ثم دخلت أمي لتوقظني للمدرسة.

***

مازن ومي يجلسان في مقهى ، يفتح هو حاسوبه الخاص، يدون وراءها كل ما تقول، حتى صدمها بكلمة:

- بحبك.

فتجمد الكلام بين شفتيها، احمر وجهها، صرخ عقلها بأن تلكمه أو تعنفه، لكن قلبها طلب الرحمة لقلبه، تنفست سريعًا لتهدأ، هدأت أعصابها قليلًا، فأكمل هو قائلًا:

- الإشارات الفيزيائية التي نقلها قلبك لعقلك حتى يهدأ من غضبه المفاجئ قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة، العلم عن الله ثم عند قلبك، هل قلبك مستعد أن يخوض معركة الحب معي مثلما حارب مهلائيل الشيطان، قد تكوني أنتِ مهلائيل وأنا الشيطان، تعددت علاقاتي لكني لم أومن بالحب يومًا، جميعهم كانوا مثل السراب، إنما أنتِ الحقيقة الواحدة الموجودة في الكون، ضحكة عينيك تدل على جمال قلبك، تتزوجيني؟"

فقالت:

- أمر الزواج يبنى على أشياء عدة، هل تعرفت على عائلتي مثلًا! ماذا لو أنا مجنونة وأتخيل أخي في أحلامي وكل كلامي معك كذب! أريد أن تكون معرفتنا في حدود العمل. والكلية فقط، اتفقنا؟

فقال وهو يبتسم:

- اتفقنا يا صاحبة العينين الفاتنتين.

***

صرخ جون مينشل قائلًا:

- يجب عليّ اكتشاف الثقب الدودي، لن أجعلها أسيرة الرياضيات، أحبائي يعتمدون كليًّا علي، سأسافر بهم عبر الزمان، سأنقلهم من مكان لمكان.

ثم هدأ من روعه وقال:

- الجاذبية الفضائية تسحب كل ضوء يخرج من الفضاء ما عدا الشمس! الشمس من أساس تكوين الكون والفضاء، درجة حرارة الشمس أعلى من درجة حرارة الفحم بعد إشعاله.

ثم قال وهو ينفخ لفافة تبغ:

- الجاذبية تكره الحرارة.

ثم كتب في دفتر ملاحظاته :

الحرارة=a

الجاذبية=b

الفضاء =s

a-b\s=spacetime*2

الثقب الدودي موجود حول الشمس، لذلك لم يكتشفه أحد من قبل، الثقب الدودي هي الحرارة منقوص منها الجاذبية، لكن الجاذبية الفضائية أقوى من أي جاذبية لذلك تسحب أي مجرة موجودة من الأساس، لقد اكتشفت سر السفر عبر الزمن، يجب علينا تسخين الكوكب لنسحب منه الجاذبية، كما فعلنا مع خرم الأوزون، فتحته مثل إبرة الحياكة، وأتوقع كبرها في المستقبل، هل يوجد بشري يمكنه التقرب من الشمس بهذه الطريقة؟ الشمس تحرق حتى البعيد عنها بملايين الكيلومترات، لا يهم المهم أني اكتشفت الثقب الدودي

ثم صرخ بفرحة:

– لقد فعلتها، فعلتها.

***

بعد أن أنهى يحيى كلامه مع عربي وقص عليه كل ما شاهده، باغته عربي: "هل يمكنك أن تذهب لمخترع المسدس؟"

– بالتأكيد إذا تمنيت ذلك.

– تمناها من أجلي يا رفيق.

أغمض عينيه، تمنى إن يذهب لمخترع المسدس.

***

غرفة صغيرة فارغة إلا من طاولة طويلة في أخرها عليها بعض الأدوات مثل المطرقة الصغيرة وسكين مطبخ ومفتاح، صمويل كوت يداعب لحيته الطويلة بأطراف أصابعه وقال:

– الآن تساوى الضعيف والقوي.

وجه مسدسه الأول ناحية باب الغرفة، أغلقه بحبل كان بجانبه، فظهرت لوحة يضرب عليها الرصاص فخرج منه طلقة جاءت في منتصفها، وتراقص فرحًا واستدعى العديد من الخبراء ليخرجوا من تحت أيدهم مجموعة كبيرة من الأسلحة.

تعجب يحيى من هذا، هل يقذفني الله لأوقات معينة لأرى أشياء معينة؟!

لماذا لم يأتِ بي الله قبل هذا الكلام بساعات مثلًا! أو في بداية اختراعه!

أغلقت الأنوار كلها، فتحت مرة أخرى.

يقف في منتصف غرفة وبجانبه من جميع الجهات مكتبة لونها بني، مليئة بالكتب، كرسي تحت نافذة الغرفة، يجلس عليها رجل يرتدي بذلة وحذاء بني اللون، يقرأ رواية "حياة ماريان" ثم مد يده لمنضدة صغيرة بجانبه ليشرب القليل من المشروب الموضوع عليها.

- ديستوفسكي.

هكذا صرخ يحيى في وجهه.

طرق على باب الغرفة، خادمته تدخل تحمل في يدها خطابًا، فأعطت ديستوفسكي إياه وخرجت، فقرأه بصوت عال:

"الحكومة الروسية تأمرك أن تكتب رواية وتسلمها للناشر في غضون شهر على الأكثر وإن لم تفعل سيتم اعتقالك بسبب ما نشرته مؤخرًا واعتقالك من قبل بسبب اشتراكك مع جماعة التفكير المتحرر.

أغلق الخطاب بعصبية شديدة، أقسم على عدم كتابتها.

دخلت زوجته آنا دوستويفسكايا لتخبره أن الطعام جاهز، وبحكم حبها له اكتشفت أن وجهه غاضب، فجلست بجانب قدمه وقالت له:

- ما الذي يشغل عقلك يا عزيزي؟

فأعطاها الخطاب وقرأته فاستشاطت غضبًا، لكنـــها هـــدأت ســريعًا وقالت:

- اكتبها يا عزيزي، فأنا حامل.

بمجرد سماعه الكلمة قفز من مكانه سعيدًا بالخبر، وخصوصًا بعد وفـــاة فتاته الأولى صوفيا في نفس عام ولادتها، فقال لها:

- لو فتاة ستكون اسمها لوبوف.

فاحضتنه بهدوء وقالت:

- كاتب كبير مثلك يمكنه أن يكتب أعظم رواية في أيام قليلة.

فخرج يحيى معهم، جلس على طاولة الطعام أمامهم، الكاتب يطعمهـــا بيده ويداعب وجهها، خصلات شعرها ويتغزل في جمالها، بعد الانتهاء من الأكل دخل للغرفة الكبيرة مرة أخرى.

جلس على مكتبه، أخرج الحبارة والقلم، شرع يفكر ويفكر، ثم قال:

- المقامر.

فبدأ في كتابتها، وأنهاها بسهولة

فردد يحيى في عقله:

"كم أنت عظيم يا ديستوفسكي".

***

القاهرة 2025

الطفلة مي تخرج من غرفتها تستقبلها والـــدتها بابتـــسامة وتخبرهـــا أن الفطور جاهز، لتصدمها مي:

- أين يحيى؟

ليتحول وجه الأم لصدمة بعد الابتسامة:

- يحيى مات.

- كيف؟

- مشيئة الله يا فتاتي

- لقد رأيته أمس!

الأم وجهها يتحول لتغضب وتقول بحدة:

- الأكل جاهز.

لتكمل مي:

- لقد رأيته يا أمي، وقال لي.. إنه سيخبرني بكل شيء.

- ماذا تقصدين بكل شيء؟

- رحلته للماضي

ضربت الام كف على كف!.. لتسكت الطفلة وتذهب لغرفة الطعـــام وتأكل وسط نظرات أمها المشفقة عليها.

***

نفس اليوم مساءا:

تتصل الأم بالأخ الأكبر لمي:

- ساعدني يا بني!

- خير؟

- مي مسافرة في طريق يحيى.

لم يستطيع الفهم!

- أخبرتني أنها رأت يحيى وهو يقول لها سيجعلها ترى كل ما رآه!

- أضغاث أحلام

- يا رب.

***

على الجهة المقابلة تجلس مي في غرفتها تنتظر أخاها كما وعدها أنه سيجعلها ترى كل الماضي.

– مي.

قالها يحيى، ولكن الصوت يأتي من بعيد.

– يحيى.

قالتها مي بنوع من الفرحة.

– سيقولون عنكِ مجنونة.

– والحل يا أخي؟

– الحل عندي يا جميلتي، لكن ادرسي الفيزياء جيدًا، السنة عندي بثلاث من عندك، لأنني لم أتجاوز حاجز الفضاء بأكمله، كلما ارتفعت لأعلى كلما زادت النسبة الزمنية، سأتوصل إلى أي فجوة أستطيع ان أتواصل معك فيها وجه لوجه لأعطيك دفتر ملاحظاتي، الوداع.

رجعت الفتاة بظهرها للخلف، وضعت رأسها على حافة الفراش:

– نعم سأذاكر الفيزياء جيدًا، لكن ما الفيزياء من الأساس؟

ذهبت لوالدتها، طرقت على باب غرفتها:

– أمي، أيمكنني الدخول؟

فأذنت لها والدتها فقالت مي:

– ما الفيزياء يا أمي؟

فقالت لها والدتها وهي تحتضنها:

- الفيزياء علم من العلوم المحيرة للعقل، يجب عليك دراستها في المستقبل.

فقالت:

- لا، أريد دراستها الآن.

-لماذا؟

- لأن أخي طلب مني ذلك.

- مي، أخوك مات منذ زمن، وكل هذه أحلام لا وجود لها.

- لا، أخي وعدني بأشياء عدة.

- أضغاث أحلام يا مي، لا تعيريها اهتمامًا.

- لكنك يا أمي قولتِ لي..إن يوسف قالوا عن أحلامه أيضًا أضغاث.

فلم تستطع الأم الرد واكتفت بإلقاء اللوم عليها بعيونها، فخرجت الفتاة منزعجة منها ونامت فورًا.

***

القاهرة عام 2033

نجحت مي في العام الأول والثاني في الثانوية العامة، تخصّصت في دراسة الفيزياء، بكل صعوباتها مر عام الثالث من بتفوق، واستطاعت بسهولة أن تدخل مدينة زويل للعلوم بعدما أصبحت أكبر ملتقى علمـــي في الـــشرق الأوسط.

يحيى يراقبها بعد استطاعته التحكم في نفسه، وعقله.

لكنه أصبح وحيدًا بعدما مات عربي.. ففلسطين عادت رسميًّا لأهلـــها وارتاح قلبه.

***

القاهرة عام 2026

مي "الطفلة" تدخل غرفة يحيى لأول مرة في حياتها، سريره كما هو، ملابسه كما هي، سُلم صغير لتصل الي معمله، نزلت بهدوء شديد، تحسست طريقها بيدها الصغيرة، وصلت الي باب مغلق، لم تستطيع فتحه لأنه موصد، فكرت إن تسأل أمها على المفتاح لكنها خافت من رد فعلها المتوقع، ذهبت إلى غرفتها مرة أخرى لتنام.

ظهر أمامها أخيها وقال:

عزيزتي، المفتاح سيكون بين يدك بعد سنون، سأجعلك تكتشفين أسرار جهازي في الوقت المناسب، وتمر الساعات لتدخل أمها ليترلوا معًا ليصلوا الجمعة في المسجد.

***

جلس يحيى أمام باب زمني مكتوب عليه "إبليس":

هل يُصدق أحد هذا الكاذب؟ كل الناس كذّبوه، من يُصدّقوه ويكون معاونًا، وخادمًا له يا الله هل هذا الكاذب له مُعجبون؟ هل يساعدهم بالفعل على تنفيذ خططه القذرة!

ثم دلف حتى وصل لنقطة من الباب فلم يفتح، فأراد رؤية معاونيه.

كنيسة كبيرة، يقف مباشرة الراهب صاحب اللحية الطويلة جدًّا، والشعر الأطول، عينه مخيفة، جسده طويل وبنيانه قوي، أمامه مباشرة جلس رجال الكنيسة يأمرونه بأن يبتعد عن الكنيسة لاتهامه أنه صديق شخصي للشيطان، فلوّح له بيده الغليظة، وخرج لبيته.

دخل بيته، خمسة نساء في انتظاره، بمجرد حضوره ذهبوا له أغرقوا وجهه بالقبلات، خلعوا ملابسه وحملوا حملا لغرفة النوم، أعطت له سيدة منهم زجاجة خمر شربها رشفة واحدة، والثانية والثالثة هكذا.

دق باب المنزل، الإمبراطورة تحمل ابنها، وتسأله أن يشفيه لها، فاستطاع في دقائق معدودة أن يُعيده للحياة بعد أن كان مفارقًا، شكرته كثيرًا وأعطت له حق التمني لأي شيء.

لكنه قال:

- حق علاجي لابنك عندك في القصر.

فولّته الأمر الناهي لها.

مجرد خروجها من مترله رقص رقصته الـــشهيرة الكازاتـــشوك.. مـــع تصفيق له الخمس نساء.

اليوم التالي، ذهب لقصر الامبراطورة وأملى عليها الكثير من القرارات الخاطئة، ومرت الأيام على هذا حتى تآمر ضده النبلاء والأمراء في القـــصر فخطّطوا لقتله.

في أمسية جميلة مليئة بالخمر، قدموا له زجاجة خمر مليئة بالسم، فشربها بالكامل، فنظروا لبعضهم البعض بسعادة بالغة، وخرجوا ليتركوه يمـــوت وحيدًا، بعد مرور ساعتين، كسر بيده كل محتويات الغرفة، فدخلوا عليه، فهرهم وضربهم، وقال لهم بعصبية:

- لا يستطيع أحد خيانتي، يوميًا أشرب كوبًا من السم بجانب النبيـــذ والخمر لأنني أعلم نيتكم.

فأخرجوا من جنوبهم مسدساتهم ليضربوه بالنار، فرغوا فيه أكثر مـــن عشرين طلقة، قفز من النافذة، قفزوا وراءه والرصاصـــات تنـــساب إلى جسده.

هرول وهم وراءه حتى النهر، فقفز في النهر والرصاصات ما زالت معه تطارده، ألقى نفسه في الماء، فظن الجميع أنه مات.

حتى شاهده أحد الصيادين وهو يخرج من المـــاء ويتـــنفس بـــصعوبة ليتحرك خطوتين حتى خارت قواه ونام على الأرض.

وبعد مرور ساعتين مات نهائيًّا، وانتهت قصته!

***

- لماذا تكذبوني؟ هل لأنني فتاة؟ سأقص عليكم قليلًا مما علّمني أخي، علّمني أخي أن كل شيء حدث لسبب، كل علماء الفيزياء والرياضيات والعلوم الحديثة توصلوا لجزء صغير فأكمل الآخر بعضه، فتوصل أخي للجزء الأكبر، الفجوة الزمنية الكبيرة بيننا وبينه، يقدر عمر أخي بمائة وأربعة عشر عامًا، وعمره الأرضي بثمانية وثلاثين عامًا، فالسنة عنده بثلاث من عندنا، حتى وقتنا هذا لم يكشف لي سره وكيف تواصل معي وأعطاني مدونته الخاصة، لكن كشف لي بعض الأسرار الدفينة، مثل خيانة دونا مارينا وعنخ أس آمون والراهب راسبوتين وحرب مهلائيل والشيطان، كشف لي الكثير والكثير والكثير، كتب في مدونته عندما رفض ابن نوح إن يركب معه "التكبر على الوالد يؤذي كثيرًا" وكتب عندما رأى آدم وحواء "الأم صامتة" تفسيرات الأئمة لم تكشف لنا أكثر من الموضح حاليًا، وأخي كشف لي الكثير من أسرار الكون الدفينة، تسع سنوات لم يفارقني يحيى لحظة، ففي يوم من الأيام كتب في مدونته "أعجبني جدًا فستانك الأسود" وكانت أول مرة أشعر بجمالي، وكتب لي أيضًا "نظرتك لي عندما كنتي واقفة بجانب جسدي الميت أحيت روحي".. إذا كنتم تكذبونني فاسألوا السلطات الفلسطينية عن شاب توفي عام النكسة ثم قتل الشباب الفلسطيني ثلاثة عساكر من العدو، لا أريد الشهرة، ولا

اللقاءات التلفزيونية، أريدكم أن تصدقوني لأن روح أخـــي هائمـــة الآن فوقكم

فرفعت فتاة يدها فقالت:

- هل يستطيع أن يثبت لنا الآن أنه يحوم حولنا؟

فصمتت وقالت بصوت منخفض:

- ساعدني يا أخي.

***

- هل تؤمن بوجود الجن؟

قالها عربي.. فرد عليه يحيى:

- الجن مذكور في القرآن.

- اثبت لي أنه موجود!

- لا، أخاف!

- على حد فهمي لما يحدث لك، ستتنقل الآن للجن لمجرد تفكيرك فيه.

ثم أطلق ضحكات بسخرية:

- احكِ لي يا صديق.

حاول يحيى بشتى الطرق أن يبعد عقله عن الجن، لأنه يخاف منها، لكن بالفعل حدث ما لا يحمد عقباه.

***

غابة مظلمة، الشجر يغلق أي منفذ للشمس، أرض رطبة، رائحة مطر تفوح من الأرض وسيقان الشجر، نسيم بارد يحاوطه، صوت أنفاس بشر تحوم حوله، تصبب العرق منه، دقات قلبه مخيفة، يزداد صوت الأنفاس، يشعر بوجود أناس حوله، نظر ذات اليمين لم يرَ شيئًا، ذات الشمال، هالة مظلمة تتحرك من بعيد، يقترب منه صوت النفس، يخترق أذنه اليمنى، هواء ساخن يتخبط في ظهره، الهالة السوداء تقترب منه، حاول الهروب، أصطدم بشجرة طويلة ظهرت فجأة من العدم، حاول أن يتذكر أي أية قرآنية لكن عقله رافض، يا الله! رددها كثيرًا وتغني بها كثيرًا، أغمض عينيه لثوانٍ معدودة، فتحها ليرى الهالة في وجهه مباشرة تصدر صوت مرعب،وتتحدث بلغة صعبة للغاية، ثم تحولت اللغة للعربية فقالت الهالة:

- اذهب لبابل يا فتى، واطلب من هاروت وماروت أن ينجياك مني.

ففزع يحيى وقال بصوت لا يكاد يخرج منه:

- كيف تراني؟

فضحك وزلزل الأرض من حوله وهز الأشجار من مكانها وقال:

- أنا ملك ملوك الجان، لا أحد يمكنه الاختباء مني.

فقال:

- ألم يقاتلكم مهلائيل؟

فتحول لون الهالة من الأسود للأحمر المشابه للدماء:

- لولا أنك من المستقبل القريب لحوّلت جسدك لأشلاء صـــغيرة، لا تذكر اسمه أمامي.

فتجمع بعض من الأدرينالين في دمه وقال يحيى:

- لم تنجحوا في أي معركة بين البشر، ولا حتى الملائكـــة، هـــاروت وماروت استطاعوا إن يوقفوا شركم.

فرجع لونه إلى الأسود مرة أخرى وقال:

- هاروت وماروت أقوى من الشياطين يا أحمق، إنما نحن الجان.

- وما الفرق؟

- الشياطين تخاف البشر لذلك توسوس فقط، إنما نحن نعيش بين ثناياه روحكم

- كاردل منكم ولا من الشياطين؟.

- نصف منا والآخر من الشياطين!

- بابل تستطيع صدكم.

– لا، بابل مُحصّنة بقوة مهلائيل والملكين المنزلين على سليمان، لا تقلق يا فتى، سنون قليلة وسنغزو الأرض، هل تظن سيهرب ربكم من طردنا من السماء!

– ربنا هو الذي خلقك وخلق الشياطين وخلقنا!

– خلقكم أنتم فقط، وخلق بجانبكم الملائكة الخائفة منا.

– هل تظن جبريل يخاف منكم!؟

– جبريل فر هاربًا من مواجهه السامري.

– جبريل لم يفر، إنما أمر من الله ليضل السامري الناس ليهديهم الله فيما بعض.

– إذا لم تذهب يا فتى في غضون ثوانٍ قليلة سأصب لعنتي عليك.

– لعنتك لن تؤثر في جسدي وروحي لأني سأستدعي قوة هاروت وماروت.

تكوّرت الهالة ودخلت من صدره خرجت من ظهره، فصرخ يحيى صرخة مدوية من الألم، وسقط أرضًا، ويده على صدره لا يستطيع التنفس، ويبكي ويصرخ كالأطفال.

يتدحرج على الأرض، وصل لشجرة ألقى بجسده عليها ليستطيع أخذ القليل من الهواء ليتنفس، نظر يمينه ليجد الهالة السوداء تتصارع مع هالة أكبر منها بيضاء، يتحركون يمينًا ويسارًا، حتى اختفت الهالة السوداء، فصرخت الهالة البيضاء:

- الله أكبر، الله أكبر.

***

إذا كنتم تكذبونني فاسألوا السلطات الفلسطينية عن شاب تُوفي عام النكسة ثم قتل الشباب الفلسطيني ثلاثة عساكر من العدو، لا أريد الشهرة ولا اللقاءات التلفزيونية، أريدكم أن تصدقونني لأن روح أخي هائمة الآن فوقكم فرفعت فتاة يدها فقالت:

- هل يستطيع أن يثبت لنا الآن أنه يحوم حولنا؟

فصمتت وقالت بصوت منخفض:

- ساعدني يا أخي.

لحظات من الصمت، لم يتحرّك أي فم للكلام، دقات القلوب يسيطر صوتها على المكان، أدعية مي سرًّا تخفف توترها، تحركت المنضدة حوالي خمسة سم وأصدرت صوت احتكاك بالأرض، وضعت يدها على قلبها وقالت بصوت منخفض:

- أنتَ دائمًا معي يا أخي.

فنظر لها من الفضاء وحياها كالجندي في الحرب.. فهلل كل الجالسين في الاستوديو، وصدقها الكثيرون منهم وأيضًا ملايين كانوا يشاهدونها في كل مكان!

فتقدمت خطوتين وقالت بصوت حازم لم يتخلله أي خوف أو توتر:

- القوة الروحية المتمثلة في روح أخي تعيدني أنا شخصيًّا للحياة، الحياة النفسية التي كنت فيها لم تمثلني لدقيقة واحدة، بكائي وضحكتي كانوا بمثابة تقاليد لحياة سخيفة، وصفتموني بالمجنونة فابتسمت، أعلم إن هناك الكثير منكم لم يصدقني بعد..!

فدمعت عيناها وقالت:

- تغيّرت حياتي من بعد سفر أخي، أشعر أني فتاة مختلفة، رأت وصف لأشخاص لم يراهم أحد،تعلّمت كثيرًا من الماضي،وعدني يحيى أنه سيكشف لي سر مدونته التي وضعها بجانب رأسي في أثناء نومي!

فجلس يحيى، خطر بباله أن يذهب لأسوأ منطقة مظلمة في التاريخ.

***

القاهرة ...2013

يحيى يرى نفسه في معمله، يدرس معادلات رياضية ومسائل فيزيائية، دولاب خشبي قديم على يمينه ملابسه تخرج منه كأنها تتنفس، مكتبه مليء بالورق ولفافات التبغ الفارغة، عينه تنظر على جميع الورق الموضوع عليه.

قال:

– أريد أربع قطع خشبية، وزجاج من الداخل والخارج وحاسوب لوحي أغير نظامه لنظامي الخاص.

هرول للشارع، اشترى كل ما يريد، دخل معمله، واستطاع بخفة يد أن ينظم الشكل الفوضوي للجهاز المزعم، وضع الحاسوب بالداخل، ثم قام بتفريغ الخشب الأمامي من الداخل ليصنع مستطيلًا كبيرًا، أخرج من أسفل مكتبه جهازًا يشبه "الراديو" وضعه في الفراغ، لم يفلح في المرة الأولى، غير إشارات الجهاز وأرقام الحاسوب لم ينجح للمرة الثانية، كرّر العملية لمدة ثلاث سنوات بدون فائدة تذكر.

***

القاهرة.. 2016

يستيقظ من نومه صارخًا:

– وجدهًا، وجدهًا.

يتذكر أنه لم يربط الجهازين بجهاز ثالث ليقتحم عضلات الإنسان، مجرد دخوله الجهاز خارت قواه بالكامل، صرخ من الألم، وسافر إلى بداية البشر على الأرض، ثم فتح الجهاز بابه ليسقط منها يحيى مُتوفيًا.

***

القاهرة...2014

والدته تصرخ:

– يا بني، لا تُرهق قلبي، في استطاعتك أن تكون أشهر مُدرّس فيزياء في مصر، لا تُلقي نفسك للتهلكة يا بني!.

يرد عليها:

- يا أمي، هذا الاكتشاف سيجلب لي الملايين والملايين، لو كتب الله لي النجاح سنكون من أغنى البشر على مستوى العالم.

لتصرخ بأعلى صوتها:

- لا يمكنني التخيل بعد تعب تسعة شهور ألد رجلًا يستغل قوته العقلية خطأ.

فابتسم واحتضنها، وخرج.

***

القاهرة...2015

الأم في أول أيامها لتلد الفتاة، تصرخ لتعلن وفاة الأب بسبب سكتة قلبية مفاجئة، يحي ينهار من الصدمة، يبكي بحرقة، الأخ الأكبر يتصل بالمُغسّل ليأتي، ويُغسّل جسده، ويتصل بأقاربه ليفتحوا الأرض ليسكن جسده للأبد فيها، استطاع الأخ الأكبر أن يشد من أزر يحي، اللحظات الأخيرة للأب في المنزل، يحمله يحي ومحمد "الابن البكر"، بكى سكان الحي بأكمله، بعد صلاة العصر مباشرة اتجه الجميع للمسجد ليصلوا عليه، صوت بكاء مكتوم يجتاز الأذن، حتى محمد الذي نصب نفسه الإمام، ردّد الجميع بعد الصلاة:

- الله يرحمك يا أبو محمد.

آخر أيام 2015

الأم في منزلها، جالسة على الكرسي المواجه للتلفاز بجانبها جارتها المقربة لها، ثم قالت بصوت عال:

- انقذيني يا أم رشدي،

ووضعت يدها على بطنها الكبير ليذهبوا بها إلى المشفى،يخبرهم الطبيب أن هناك احتمالية كبيرة أن تموت الأم أو الفتاة.

- أدعو الله أن يُنجّي الإثنين.

قالها الطبيب بنوع من الخوف.

بعد مرور ساعتين مرّتا كعمر كامل على الرجلين، سمعوا بكاء الفتاة، فخرج الطبيب مبتسمًا وقال:

- الحمد لله الأم والبنت بخير.

فأحتضن محمد يحيى، وحمدا الله على نعمته عليهم، تمر الأيام، ويصبح عمر الفتاة شهرين، فيحملها يحيى على كتفه، ويدخل بها معمله ويقول في أذنها:

- سأنجح يا عزيزتي، سأنجح يا جميلتي، سأسافر عبر الزمن وأشاهد ما لم يشاهده بشر غيري، سأُحقّق مجد شخصي لم يحققه غيري، سأجعلك من أغنى فتيات الكون.

ثم وضع قبلة على رأسها وذهب بها إلى فراشها لتنام.

- كيف حرّكت الطاولة يا أخي؟

- جعلتك من الماضي بالنسبة لي عن طريق باب من أبواب الزمكان اسمه "البعد الخامس" قدمت مسار الحياة ليكون في المستقبل بالنسبة لك والماضي بالنسبة لي، فيمكنني تحريك الأشياء بنسبة معينة في الماضي، مثلما حرّكت عربة الفاكهة للطفل في الهند، والبعد الخامس الخاص بمن يتجاوز البعد الرابع بدقة متناهية ويقترب من الثقب الدودي، والثقب الأسود أو الدودي بالنسبة لي عبارة عن نافذة لعالم آخر، أسهل شيء يمكنني فعله التجول حول الثقب، فالماضي والحاضر والمستقبل بالنسبة لي شريط فيديو.

***

مدونة يحيى

"الحل الوحيد للوصول لمي هو الثقب الأسود الموجود في الفضاء الواسع، حتى أصل لها وأسلم لها مدونتي تلك، والكون عبارة عن إشارات رباعية الأبعاد، فيجب عليَّ تحويلها لثنائية الأبعاد لأصل، والورق هو الشيء الوحيد الذي يمكن تحويله".

أغمض عينيه قليلًا ففتحها، وهو يقف بجانب فراشها تقرأ قصصًا مصورة للأطفال، فقطع ورقة منها ورسم بها اسمها فصرخت بصوت عال:

- يحيى جاء.

بداية كشف الحقيقة.

***

تستيقظ مي، تنظر للمنضدة الموضوعة بجانبها لتمسك هاتفها، أمسكت هاتفها، وتصفحت قليلًا، نظرت يسارها لتجد مدونة زرقاء، فتحتها لتجد أول صفحة معادلات لم تفهم منها شيئًا، فتذكّرت كلمة أخيها في منامها ذات يوم:

"عندما تلتقي بالمدونة أفتحي آخر عشر صفحات".

الصفحة الأولى من أصل العشرة مكتوب فيها بخط صغير:

"لن أكتب ما رأيته مع آدم وحواء لأنه أرهقني، مهلائيل قوي جدًا، يشعرني بقوة الأفلام الخيال العلمي التي يقتل فيها البطل عشرين شخصًا من ضربة سيف واحدة، الحب عند آدم وحواء وأولادهما يشعرك بجمال الحب، أعظم مشهد حب رأيته في حياتي والتاريخ كله أجمع عندما خلع رسول الله رداءه ووضعه على جسد عائشة لتشاهد لعب الصبية، ولم يدخل إلا عندما فرغت من مشاهدتها لهم، أعظم قصص الحب تنتهي دائمًا بفراق أو حزن وبكاء على الأطلال أو كره طرف للطرف الأخر، محمد الرجل الوحيد الذي انتهت قصة حبه الدنيوية مع زوجاته عند وفاته! ما أعظمه يا مي، ما أعظمه!

***

فبكت مي لأنها لم تعش معه ما يكفيها، ففأجاها كاتبًا:

أشعر بدموعك الآن، كنت أتمنى أن أعش معكي عمر كامل، سأجعلك تبتسمين الآن.. هل تتذكرين قصة سيندريلا والحذاء؟

حدثت بالفعل مع فتاة إيرانية، لكنها ضربت الرجل بالحذاء على رأسه، هل تظنينها بهذه السهولة، تبًا لنا، مجتمع ذكوري متعفن.

***

فضحكت لأنها تصورت وجهه وهو يكتب هذا، عيناه تدمعان، وشفتاه تضحكان، مثلها هي الآن!

فأكملت:

"صفي لي طعم النجاح الدراسي، لقد أنهيت دراستي منذ زمن بعيد، هل تزوجت حبيبتي؟ بالطبع، بالطبع تزوجت، كانت جميلة يا مي، ظلمتها كثيرًا لكنها ظلت تحبني، حاربت أهلها مرارًا وتكرارا من أجلي، وأنا كنت مثل الحجر، لا يتحرك ولا يشعر، منذ أيام قليلة تفاجأت بدموعها تلمس وجهي، فاشتقت لها، ذهبت لأيامنا، أتذكر عندما كنا جالسين في السيارة فنمر على مختبر للتحاليل على اسمها فأقول لها:

ستكونين أنتِ صاحبة هذا المختبر لكن أكبر وأشهر.. فلا تجاوب وتشد على يدي كالطفلة الصغيرة، بالفعل كانت طفلتي، حبيبتي، أمي، صديقتي، أشتاق لها كثيرًا، كانت دائمًا تشبهني بعمها المعتقل، وأقول لها:

"لا تشبهيني برجل استطاع أن يربي فتاة تملكت من قلبي".

فكانت تقول:

"لكن بالفعل من الظلم تشبهك له، فأنت أقوى وأحسن منه يا "بابا".

فكانت هذه الكلمة هي القاضية علي، فكنت أقول لها:

"ماما"

فتقول:

"أنت بالفعل ابني، أرهقتني كثيرًا، لكني لن أستطيع الاستغناء عنك لحظة".

فكنت أنا المستغني!

***

لم تستطع مي التحدث، سكتت.. كأن الله أنزل عليها سهمه ليخرسها.

فتحت الصفحة الثانية من أصل العشرة.

***

أنا الآن أتذكر أحضان دب قطبي مات أمامي، تجاوز طوله الثلاثة أمتار وعرضه متر وأسنانه كبيرة للغاية، لكني بقدرة الله استطعت أن أروضه، لعبنا معًا، الحيوانات هي الكائن الحي الوحيد الذي يمكنه أن يراني، لذلك رآني جنديًا من جنود مهلائيل، كان من الديناصورات المنقرضة، أطلقت على هذا الدب "رعد".

***

يجلس يحيى ورعد على تل كبير، يتحدث معه وكأنه يفهمه، يحكي له حياته واكتشافه وقوته الخارقة التي جعلته يصمد أمام كل ما رآه، لون الدب أبيض بفرو كبير، أذنه كبيرة، أسنانه حادة لكنها لا تؤذي الطيبين، يلعب يحيى في الفرو مثل الطفل الصغير، فيبتسم الدب ويضع يده برقة عليه، في أثناء لعبهم اقتحم الجلسة دب أسود اللون، بنفس الصفات، برزت أنيابه أمامه، لكم رعد فأسقطه أرضًا، فقام رعد مرة أخرى ليستعيد قوته، جلس يحيى خلف صخرة كبيرة يتذكر معرفته به.

نهره الدب الأسود في معدته فانتفض جسده للوراء، هل تتذكر يا رعد معرفتنا، يصرخ من الألم، فيتذكر يحيى صراخ فرحته، فيقفز عليه الدب الأسود، لا تقفز عليَّ يا رعد، يلكمه في فمه، لا تلعق وجهي بلسانك، تسيل الدماء من أنفه، فيسيل عرقه وهو داخل فروه الأبيض، يحاول المقاومة كالجندي في الحرب، يحاول الهروب منه في لعبة تشبه الاختباء، فيصرخ رعد صرخة النهاية، فيصرخ يحيى صرخة تهز أركان الجبال.

يقترب منه، يلتقط أنفاسه الأخيرة، يضع رأسه بينه، فيلف رعد يده خلف ظهره، فيموت رعد لتغسله دموع يحيى الغزيرة!

شعرت مي بإحساس غريب ينتابها، إحساس يجمع بين "كيف عاش أخي هكذا" و"هل هذا موجود حقا"؟

ظلت تقرأ نفس الكلام لساعات طويلة على أمل الوصول لأي شيء تفهمه، كلام صعب، غير منطقي، لم يجاوب عليها في أول صفحتين، كيف وصلت المدونة ليدها!

***

يقتحم صوت عربي أذن يحيى:

- استيقظ يا رفيق.

فينهض ويصرخ فيه:

- لا توقظني هكذا مرة أخرى!

فقال له بهدوء:

- اخبرني، ماذا ستفعل مع أختك؟

فنفخ في وجهه وقال:

- لا أعلم، أشعر أني مثل حبات الرمال، تتقاذف يمينًا ويسارًا.

فقال:

- الحل داخل قلبك، قلبك دائمًا يخبرك أن هذا خير وهذا شر.

فألقى ظهره على الأرض وقال:

– قلبنا يشبه هذه النجوم التي تطير حولنا، مع أنها في الحقيقة لا تطير، عقلنا يتخيل لنا أنها تطير.

فمد يده، وأمسك بواحدة وقال:

– هذه النجمة تُشبه نجمتي، ابنتي، أسميتها نجمة، وسبب التسمية يا صديق قبل أن تسأل، أنا وزوجتي جلسنا ذات يوم في شرفتنا نتناقش، فاحتضنتها بقوة وقالت لي.. عزيزي أريد إن اسمي ابنتي نجمة.. لأنك دائمًا تقول لي.. من أجلك أحلّق في السماء وأُحضر لك نجمة.

فأراح يحيى ظهره بجانبه، وأمسك بنجمة أخرى، وقال:

– يبدو أن النجوم تلعلع في سمائنا فقط يا صديق.

فنظر عربي أسفل ظهره وقال بسخرية:

– يبدو أننا أسرفنا في الشرب، فتخيلنا أن الفضاء أرض.

فضحك يحيى وقال:

– اسمها أرض فضائية أيضًا يا صديق.

فقهقه الإثنان وطارا.

***

وصل يحيى لتل كبير، نزل بهدوء شديد، شارع يتحرك فيه المئات من كل الفئات والأعمار والأشكال، لكن ملابسهم متشابهة إلى حد كبير، جلباب أبيض للرجال وسوداء للنساء، والأطفال يجمعون بين اللونين، يتحدثون بلغة سريعة، حروف متشابكة، استطاع أن يفهم أنها اللغة الفرنسية، فسار وسطهم لأي مكان، فسمع طفل يقول لصديقه:

- اجرِ يا ميشيل، سيخطب بيير اليوم على المنصة.

لم يفهم حينها من هو بيير، فتحرك معهم.

ساحة كبيرة مليئة بالناس.. مسرح كبير في الأمام مباشرة يقف عليه.

رجل شعره يميل تمامًا إلى الأبيض، جسده ممتلىء، قصير القامة، حليق الذقن، قال بنبرة هادئة:

- أشكركم جميعًا على حضوركم اليوم، وأود إن أعلن عن روايتي الجديدة "اعترافات كاذبة" "Les Fausses Confidences"

فهلّل الواقفون جميعًا من السعادة والفرحة وأحضنته بعضهم البعض.

فوقف يحيى مذهول..

- بيير ده ماريفو! بطل حياة ماريان أمامي!

أقسم أنه لن يتحرك إلا خلفه.

دخل خلفه بيته الصغير بعد التهاني والسلام، بيت مكوّن من طابقين، الطابق الأول يجمع البيت بأكمله، الطابق الثاني فارغ، صامت، كاتم، مرعب، هادىء، لا يوجد به غرف، مجرد ممر طويل به مكتب وإضاءة خفيفة فوقه، جلس عليه، وضع يده على وجهه وبكى، ففتح أوراق روايته المحببة لقلبه ونظر إليها وقال:

أكثر من ثلاث سنوات بكتب في هذه الرواية لتحقق هذا النجاح.

– ماريان، أنت المفضلة لقلبي يا عروستي.

ثم ثار على الورق المنثور على المكتب وصرخ، لا أريد النجاح ولا الشهرة ولا المال، أريدك أنت يا ماريان!

فوجيء بأشخاص يرفعون الستار من خلفه،يبدلون ديكور المكان، يتغيّر شكله تمامًا، ليصبح مسرح كبير بشرفة عالية بجانبها شجرة، خرجت لتقف فيها فتاة في عقدها الثاني على الأقل، يجري رجل من آخر المسرح، يقف تحت شرفتها، ويقول:

– يا جوليت أنا محبوبك".

ويتسلق الشجرة ويقف معها في الشرفة ويقبلها في مشهد رومانسي بحت، فيصفق الجمهور وتبكي الفتيات فيستغل الرجال الفرصة ويحتضنونهم!

شعور بالملل يتخلخل بين أعماقه، شعور خنقة واحتقان في المشاعر، مشاعره صماء، لا حب فيها ، لا كره، لا صراعات، أصبح مثل المومياء، مومياء عليها لعنة من الفراعنة، ورق كتب عليه ديستكوفسكي وألقاه، لوح خشبي قذفه نوح لأنه مسوس، صرخة حمل كاذبة صرختها مريم، نفس سريع أخذه عيسى في رحلته للسماء، تفكير لمس عقل مُحمد في رحلة الإسراء والمعراج، شجاعة لمستها قلب السامري بعد رؤية جبريل، سكين لمست قلب عربي، خوف للوهلة الأولى لموسى بعد سماعه صوت الله.

جميعها مشاعر هزت كياننا ووجداننا.

صرخاتنا تشعرنا أننا بشر، أصرخوا في وجه العدو، اصرخوا وقولوا:

- لا، قولوا.

لا للظلم،والإهانة والشر،قولوا لكل من يشغل عقلكم بالكذب والغش والتزوير لا.

كلمة ثمنها الحياة، قد نضع حياتنا كلها في كفة أمام الكلمة، إما إن نحيا، إما نموت بحثا عنها، كل الأساطير المشهورة قالوا..لا.. من أول الشيطان..نعم الشيطان قال: لا، وكان جزاؤه الطرد من الجنة، ربنا عاقبه وطرده من الجنة لنسكن نحن فيها، هل هناك تعظيم من الرب أكثر من ذلك؟!

كلمة لا عندما تقال في وجه ظالم ممكن تكون سبب لنسكن الجنة.

حلم الموت بدون ألم يداعب عقل البشر أجمع.

لا تخافوا يا بشر، أنتم من تصنعون الألم لنفسكم، أنتم من اخترعتم المسدسات والسيارات والطائرات والصواريخ والقطارات!

أنتم من أبدعتم طرق جديدة للحب لتؤلم القلب، قلبكم هدية من الله لكم، لماذا تلقوه للتهلكة! أيحب أحدكم أن تلقي هديته في القمامة؟!

العقل البشري لا نعرف عنه إلا أقل قليل وأبسط بسيط.

الحيوانات الكبيرة انقرضت لأننا لا نستطيع أن نسير بجانبها!

انتهت حرب مهلاثيل منذ آلاف وآلاف السنين لا نستطيع حمل سيف واحد من سيوفه!

هل تظنون لو بنى نوح سفينته في زمننا هذا! كنا وقفنا وأخذنا معه صورًا تذكارية وكتبنا "يوم رائع للغاية مع المجنون" هذا "المجنون" أرسله الله للأرض لينقذ الكثير من سكانها.

الحكم بالباطل على الناس مؤلم للغاية، الأسد الذي يزأر على فريسته يبكي إذا فقد لبوءته، القرد الذي يتسلق الأشجار ويصدر صوت "قهقهة" يبكي عندما يضربه أحد الصبية بحجر.

فما بالك بالإنسان، الذي خلقه الله في أحسن صورة، بأجمل قلب، بعينين تبصران وقلب يشعر وأذن تسمع وعقل يترجم الأفعال؟!

المشاعر الحية للإنسان لا تتكرر مرتين، الحب لا يتكرر مرتين، أنتم لن تتكرروا،لذلك لا تجبروا أطفالكم على ارتداء عباءتكم.

لا تسعوا من أجل المال وكأنها لمسة للنبي.. المال يجبر العقل والقلب على التفكير فيها كأنها الجنة الابدية!

بكت عينا مي بسبب الصفحة الثالثة وقالت:

"لقد عانيت كثيرًا يا يحيى!"

– مي.. صرخ بها مازن!

فنظرت له بكبرياء لم يعتده منها.

– مي! خير؟

فصرخت في وجهه:

– لا يمكنني التخيل أنك تفعل هذا!

لم يفهم منها حرفًا!

– ما معنى هذ الكلام يا مي؟ وفعلت ماذا؟

– بعد أن أوشكت أن أعطيك قلبي، وأحبك.. أكتشف أنك أحببتني لمساعدتك في الكلية فقط! لقد سمعت تسجيلات على هاتف ما وأنت تخبرهم بنيّتك!

وضع يده على وجهه من الصدمة.. فأكملت مي صفعه:

– توقعت منك رد فعلك.

تحركت حتى اختفت عن عينه ولم يسمع منها شيء آخر إلا بكاءها!

مساء:

- أخي.. أريد أن أراك اليوم وأتحدث معك.

قالتها مي، وهي على فراشها قبل النوم بدقائق.. ظلت تفكر حتى نامت...ظهر أخوها من العدم، هرولت له، بكت بين يده، فقال لها:

- لا تبكي يا صغيرتي، لا تبكي، لقد شاهدت كل شيء، دموعك أجمل بكثير من أن تُذرف هكذا.

- بدأت أحبه!

- لا حب ينتهي بخير ما دامت البداية شرًّا!

- انصحني!

- ابتعدي عن أي حب، لأن نصيبك من الحب معدوم، وأشك أيضًا أن عمرك قليل.

***

يتشاور عربي بينه وبين نفسه، يخبط كف على كف، يتحدث بصوت مسموع لأذنه فقط، فلاحظ يحيى ذلك، فسأله:

- ما الذي يشغلك يا عربي؟

فقال عربي:

- ألم تشعر مرة أنك في موقف شاهدته من قبل؟

فوافقه يحيى الرأي فأكمل عربي:

- هذا الإحساس مريب لدرجة الجنون والشك،إحساس أنك شاهدت شيئًا سابقًا ويحدث حاليًا!

فقال يحيى بهدوء:

- الزمكان يا صديقي، عقلنا كبشر لا نعرف عنه إلا القليل، لكنه في الحقيقة عقل كبير، واسع، إدراكه عالي، يشعر بكل شيء قبل جسدنا، ينبهنا كثيرًا لكن القلب يخفي أمره عن لساننا وعيوننا في أثناء القرار..

فقطع عربي كلامه مستعجبًا:

- هل أنت أحمق؟

فتفاجأ يحيى، وقال:

- لماذا؟

- سافرت لكل علماء الرياضة والفيزياء ولم تسافر لعقل أختك؟!

فقال يحيى:

- بالفعل!.. كيف لم أصل لعقلها!

فأراح عربي يده خلف رأسه ووضع ساقًا على ساق:

- الحل عندك

فقال يحيى:

- لا تمد ظهرك كأنك في بيتك.. أنسيت أنك عارٍ يا فتى!

فعدّل من وضعية جلوسه، وضحك الاثنان.

الليل سابق للنهار والنهار يلحق الليل وما زال يحيى يفكر:

- كيف أصل لعقلك يا مي!

***

صرخت مي صرخة عالية، جسدها في حالة انتفاض مستمر، العرق يتصبب منها، عيناها تفتحان وتغلقان، أطرافها مشدودة على آخرها، عروق رقبتها بارزة، يحيى بين خيوط كثيرة متشابكة، يتحرك كأنه في عش عنكبوت، أغاني أطفال متصدرة المشهد، فأمسك خيطًا من الخيوط، فسال الدم من أنفها صراخ مي يزيد، يقترب يحيى من صورة لامه ويمسكها بيده،

فتمسك أم مي يدها لتهدأ، أرقام وحروف تطير جانب وجهه فأمسك حرف "ص" فصرخت مي: "ص، ص، ص".. فخرج من مخرج على جهه اليمين فنزلت دماء من أذنها اليمنى.

فتسأل يحيى:

- أين كنت؟

فتكرّر الأمر مرات عديدة، حتى استطاع السيطرة على عقلها وأن يقنعها أنه بالداخل:

- لا تخافي يا مي، هذا أنا.

- وكيف دخلت الى عقلي؟

- سافرت له مثلما تسافر الطائرة.. كم عمرك الآن؟

- خمسة عشر عامًا.

- هل تستطيعين التذكر كم كان عمرك في أول مرة زرت عقلك؟

- خمسة أعوام.

- والثانية؟

- عشرة.

- والثالثة؟

- إحدى عشرة، والرابعة ثلاث عشرة، واستطعت فهمك في آخر أيامي فيها.

- كيف تتحدثين بهذه الطلاقة وأنت طفلة؟

- هل نسيت إني رأيتك من إثنى عشر عامًا!

- ما زلت تتذكرين؟

- أنت لم تغب عني يومًا، كنت أشعر أنك تراقبني.

- لا، لم أراقبك يومًا.

- أنا من راقبتك.

- كيف؟

- لأنك في قلبي، لم تمت يومًا...هيا احكِ لي، ماذا رأيت؟

- لا، ماذا تريدين أنت أن تعرفي؟

- أود أن أقرأ كل ما كتبت أنت، وأن تصف لي الحضارة الرومانية، أود دراستها.

- أعدك أني سأسافر هناك.. ما الفرق بين أن أحضر في منامك والآن؟

- لم أتكلم معك يومًا وأنت في منامي، كانت تمر كسنة حلوة، لم أشعر بها.. لكن الآن نتحدث.

- أنتِ جميلة للغاية يا عزيزتي؟

- وأنت عبقري يا أخي.

- سيأتي الوقت المناسب وأحكي لك كل شيء.

- متى؟

- عندما أصل لفجوة زمنية وألقى لك المدونة، سأحكي كل شيء في أول الصفحات، وآخر عشر صفحات ستكون مخصصّة لك.

- ما معنى الفجوة الزمنية؟

- سأكشف لك كل شيء في المدونة.. الوداع يا مي.

- الوداع يا يحيى.

***

قد تكون الآن لحظات الوداع، فقد وصلت في يدك المدونة، وأنت الآن في الصفحة الأخيرة.. مجرد قرأتها لهذه الكلمات أغلقت المدونة بعنف وجلست تبكي، وصرخت.. لا لن أصل للصفحة الأخيرة قبل أن يأخذني معه، لا يمكنني العيش بدونه، منذ دخوله عقلي من عشر سنوات لم يأتِ مرة أخرى، وأصبح يحادثني في أحلامي فقط، إذا كنت تحبني حقًا زرني اليوم في عقلي.

يقتحم حديثها لنفسها صراخ، تخرج سريعًا من غرفتها، بنت أخيها الأكبر تصرخ، فذهبت إليها وأمسكت يدها، لم تفهم من صوتها شيء، فأشارت لغرفة الأم، فتحركت مي بخطوات ثقيلة، خطوات كأنها لا تخطو، فتحت باب الغرفة ببطء، الأم على السرير، رأسها جهة اليمين، تحركت إليها ببطء، يدها باردة، عيناها شاردتان، صدرها ثابت، فأمسكت مي يدها، النبض متوقف، قبّلت يدها، احتضنتها، بكت بهدوء شديد، تصرخ

صراخات داخلية، دخل الأخ الأكبر، بكى من شكل مي وهي حاضنة أمه، هرول لها، فقالت مي بخوف شديد:

- ماتت.

فاستجمع محمد شجاعته وكلم المُغسلة لتأتي، وفتحوا المقابر لتسكن بجانب الأب، فماتت الأم.

صرخ يحيى، يضرب السحاب بيده، يبكي كالطفل، يضرب الأرض بقدمه.

تحرك له عربي بهدوء، أمسك بيده، احتضنه فصرخ يحيى:

- أمي ماتت.

فحاول عربي أن يهدّيء من حزنه، فطلب منه أن يفكر الآن في مواقف جميلة له معها.

***

مستشفى يظهر عليها الترف.يقف الأب بجانبها ممسكًا بيدها:

- هنيئًا لنا.

قالها الأب، وهو يُقبّل رأسها.

حمل الأب مولوده بين يده ومنحه لها فحملته بسعادة بالغة، باكية من فرحتها، ضمته لصدرها وقبّلته.

قال لها:

- يا رب.. يحفظه لنا.

القاهرة..

مي الطفلة تهرول لأمها:

- يا أمي يحيى ظهر لي اليوم على شكل عصفورة، وأخبرني بذلك.

صفعتها أمها بقوة:

- ألم أقل لكِ مرارًا وتكرارًا لا تتحدّثي عنه.. يحيى ميّت!

بكت مي، وهرولت لغرفتها.

دخل إليها أخوها الأكبر بقليل، احتضنها، وقال لها:

- يا مي.. كلنا حضرنا جنازته.. عمرك حينها لم يتعد السنتين.

فقالت مي بصوتها الطفولي:

- لا.. أنا واثقة أنه لم يمت.

نظر لها أخوها نظرة مليئة بالشفقة وخرج!

***

في المساء.. خرجت من غرفتها تجاه غرفته.. الباب مقفول.

قالت:

- كن معي يا يحيى.

ففُتح الباب!

صرخت بفرحة شديدة، ودخلت الغرفة تتحسس الحائط لتصل لمكبس الكهرباء فأنارت الغرفة المظلمة، الإنارة بسيطة لكنها كافية لتُنير لها الطريق، تحسّست الحائط بعفويتها البسيطة، وصلت لمكتب يحيى، كُتب كثيرة منثورة في أرجاء الغرفة.

- مي !!

صرخت بها أمها.. فانتفض جسدها، وهرولت إليها.

نهرتها الأم، وأقسمت على إغلاق الباب بالقفل حتى لا تكرر فعلتها.

***

- يحيى.. أريد التحدث إليك اليوم.

قالتها مي، وهي نائمة على فراشها.

دقائق مرت كالدهر.. صوت أنفاسها يعلو ويهبط، ظنـــت أن أخاهـــا سيتركها.. فتحرّكت يدها أسفل الوسادة لتحضر المدونة.. شعرت بطاقة كهربائية تسحب يدها بعيدًا عن الوسادة، وصوت يصرخ:

- مي.. تحرّكي بعيدًا عن الفراش.

فقفزت.. الوسادة تتحرك يمينًا ويسارًا.. الفراش يتأرجح، آثار أقـــدام تتحرّك على الفراش بهدوء.

حاولت مي الصراخ لكنها انتبهت لصوت أخيها يقـــرأ آيـــات مـــن القرآن.

فقالت بصوت مبحوح:

- خير يا يحيى.. طمئني.

فشعرت بأنفاس خلفها، فانتفض جسدها ، تحركت بخطوات ثقيلة تجاه باب غرفتها.

شيء يجذبها للخلف، شيء يجبرها للرجوع.. خطوات أثقل من قبـــل، أنفاس تتصارع، تتسارع، تقتحم صميم القلب لترعبه.

- ماذا يحدث يا يحيى؟

قالتها برعب.

فقال:

- لا تقلقي يا مي، لا تقلقي جان يحاول إبعادك عني.

ثم هدأت الأمور تمامًا وجاءها صوت يحيى وهو يقول لها من خلفها:

- لا تقلقي أنا بجانبك دائمًا.

ثم اختفى الصوت تمامًا، فارتاح جسدها ونامت مطمئنة.

***

- أين كنت البارحة يا رفيق؟

- كنت على فراش مي يا عربي، أحميها من شيطان الإلحاد.

- نعم؟!

قالها عربي بلهجة سخرية.

- الشيطان كان يريد إغواءها بالإلحاد، فشعرت بذلك بسبب نبض قلبها المخيف، فتسللت لفراشها وحاربته.

- بم حاربته؟

- حاربته بالقرآن و الأدعية.

فحرك عربي كتفيه ومد شفتيه.. فأكمل يحيى:

- أنا مختلف يا عربي عن الجميع، أنا أستطيع فعل ما لا يمكن للجميع فعله، أتريدني أن أقص عليك ما رأيته مره أخرى؟؟

فقال عربي:

- لا يا صديق، أنا خائف عليك فقط.

- لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وقد كتب الله لي الشقاء.

- لكن شقاءك ممتع بالنسبة لك.

- لكن شقائي ممتع بالنسبة لي.

- أريدك أن تحكي لي أي شيء جديد.

- رأيت أسوأ ملك في الكون من وجهه نظري، يذيق شعبه الذل، والإهانة.

***

شارع مليء بالناس، يتحركون ويشترون حاجتهم الأساسية، تحرك يحيى حتى وصل إلى قصر الملك، بوابة كبيرة يقف عليها حراس، حديقة طويلة في نهايتها سلمتين صغيرتين ثم ساحة كبيرة في نهايتها سلم ببوابة مغلقة جيدًا، بالطبع استطاع اختراق الأبواب بسهولة، سيدة جميلة تصرخ في وجه زوجها الذي يرتدي ملابس ملكية من الدرجة الاولى، قالت:

- الضرائب باهظة.

فقال:

- سأخفضها لكن على شرط.

- ما هو؟

- تحرّكي عارية على ظهر حصانك، وافتحي قدمك على مصراعيهما.

ثم ضحك ضحكات سخرية كثيرة وخرج.

جلست هي على الفراش، وضعت وجهها بين يدها، بكت، تحركت تجاه النافذة، رأت سيدة تطعم ابنها من القمامة "الملكية" فنادت على حراسها، وأخبرهم بنيتها السرية، وأن يخبروا الشعب بها.

تحرك الحراس وطرقوا على باب كل مواطن في البلدة يخبروهم بكلام الملكة.

***

تمر الساعات ليأتي صباح جديد.. الملك في اجتماع مع وزرائه، فخرجت من قصرها عارية قفزت على حصانها وفتحت قدميها، تحركت في الشارع وأنزلت شعرها على جسدها لتخبئ ما يمكن تخبئته، هرول الملك لشرفته ورآها فذهل من هول الموقف، لكن الغريب أن الشارع فارغ، لا صوت فيه إلا صوت العصافير، وأقدام حصانها،لا نوافذ مفتوحة، لا دكاكين مفتوحة، كله مُغلق من أجلها، ومن أجل شرفها، تبلّل وجهها بالقليل من الدموع.

مرّت على منزل صغير بنافذة أصغر، ينظر من خلفها توم الخياط، ويعض على شفتيه من هول ما يرى.

خرج لها زوجها الملك مهرولًا فقالت له بقوة وحزم:

- لقد فعلت ما أمرتني به، الآن حان دورك.

ثم سقطت مغشيًّا عليها فخلع الملك رداءه وغطاها به وحملها للفراش وأمر بتخفيض الضرائب على الفقراء وزيادها على الأغنياء.

بعد أيام قليلة، ذاع في المدينة أن توم فقد بصره جراء حادث أليم في أثناء عمله.. فأمر ابنه أن يحمله للملكة لأنه يريدها، فدخل عليها وركع أمامها حسب وصف ابنه له، وقال لها:

- اعذريني يا مولاتي لقد نظرت إليك من باب الفضول. ثم اتكأ على ابنه ورحل.

فصرخ عربي في أذن يحيى، وهو يقص قائلًا:

- لو فعلت زوجات أمراء العرب ذلك لكنا رأيناهم جميعًا عراة على الشاشات، ولن يغض أحد بصره لأن زوجها قم بتعرية الشعب بأكمله.

***

أينشتاين في حالة شد وجذب مع شعره الطويل، قلم في فمه وآخر على أذنه والثالث في يده:

- ماذا تفعل يا أينشتاين؟

ليجيب أينشتاين على الورق:

- الأدلة الكونية على وجود معادلة ما يمكننا أن نسافر من خلالها للزمن تُثير جنوني؟

فأجابه فيثاغورث:

- بالتأكيد الرقم الذي يستطيع إخبارنا بكل شيء هو رقم عشرة.. لأنه كامل تام لا ينقصه شيء.

فصرخ فيهم أرسطو:

- كفى جهلًا، وحديثًا عن الرياضيات، والأرقام.. الفلسفة الوجودية، وبدء الخلق هي العظيمة.

فقال نيوتن:

- تفاحة آدم هي السبب.

فقذفه أرشيميدس ببعض من المياه في وجهه، وقال ساخرًا:

- يقول كتابهم إنه طُرد من الجنة بسببها، فكيف تكون هي الحل يا أحمق؟

فصرخ أينشتاين:

- أنت صح يا أرشيميدس، كتاب المسلمين، سورة الكهف أخبرتنا...

وقبل أن يُكمل كلمته قاطعه داروين:

- كتابهم! سورة الكهف؟ إنني أشك في كل الأديان فكيف يكون مرجعي كتابًا دينيًّا؟

فخرج الإمام بن حنبل عن سكوته فقال:

- يا داروين، العلم درجات متسلسلة، جميعنا نتسلم ونسلم لبعضنا البعض، أخبرني.. كيف بدأت التشكيك في كل الأديان؟

فقال داروين:

- فكرة جاءتني.

- فضحك ابن حنبل، وقال:

- هذه الفكرة سيبُني عليها الجميع نظرياتهم فيما بعد..مثلما تقول أنت إن الإنسان أصله قرد.

- هذا صحيح، القرد أقرب حيوان لنا من حيث التكوين الشكلي والنفسي.

فضحك ابن حنبل وقال:

- لهذا لا تحلق ذقنك، وشعرك.. تتركهما طويلين للغاية.

فوقف في المنتصف رجل، وقال:

- الحب الأفلاطوني يمكنه أن يدلّكم على آلة الرجوع بالزمن.

فصرخ الجميع قائلين:

- كيف يا أفلاطون؟

قبل أن يُجيب أفلاطون وضع شخص يده على فمه، وقال:

- عن طريق علم المحسوسات، ونقل الخواص كلها إلى الذاكرة المنسية.. فتُمثل هي العالم الآخر لنا مثلما يمثل الماضي بكل لحظة فيه منسي للحاضر.

ثم قال ديكارت:

- أحسنت يا سُقراط.. لكنني سأُضيف على كلامك أن الدائرة والمثلث والأشكال كلها أشياء وهمية لا تُرى إلا بالعين الحساسة التي من الأساس ترسم لنفسها شعاعًا لترى ما أمامها .

فقال نيوتن:

- يجب علينا أن نتخلص من إحساس المادة ونعيش كواقع افتراضي مثل الأرقام، موجودة معنا على الأرض لكنها افتراضية.

صوت ضحكات عالية هزّت الجلسة، فنظروا جميعًا لمصدر الصوت.

– ابن رشد.

قالها بطليموس.. فصرخ فيه قائلًا:

– لا يا ابن رشد لا، لن أتركك تُشكّك في نظرياتي مرة أخرى.

فرد عليه بهدوء مُريب:

– التشكيك في النظريات يُعطينا بُرهانات جديدة ممكن من خلالها استمداد إثباتات جديدة.

فعدّل بطلميوس ملابسه، وقال:

– لا بأس.. لنتناقش إذًا.

فقال ابن رشد:

– علم الفلك لا يقدم لنا الجديد في المجال الغريب الذي تتحدثون عنه، لأنه يعطينا أرقامًا وبرهانات موجودة على أرض الواقع، الأرض كروية الشكل؟ سؤال لم يستطع الكثيرين الرد عليه.. سيأتي قوم بعدنا بآلاف السنين ليخبرونا هل هي كروية أم مستطيلة حتى!

فضحك بطليموس.. فنظر له ديكارت بغلظة، ونظر لابن رشد بهدوء وقال:

– أكمل يا ابن العرب.

– الحقيقة منقسمة لنصفين، نصف مادي ونصف معنوي، المادي هي الحقائق الملموسة مثل وجود قطعة من ملابس فلان في مكان الجريمة، أما

المعنوي هو ارتباك فلان عند التحقيق معه، لما لا نحقق مع الفضاء، والأرض والسماء والزرع والبهائم؟ ننظر في عيونهم ونحاول أن نستدل منهم على أي شيء؟!

فحازت الفكرة إعجاب الجميع حتى بطليموس الذي أبدى العكس فأكملْ:

- لن أنتظر حتى تخبروني. لأن الفضاء أخبرني من قبل.. اكتشافي لكوكب لم يستطع أحد من قبلي أن يكتشفه هي أدلة من الفضاء الواسع أنها راضية عني لذلك سأبحث لوحدي في ذلك الشأن.

فقال صوت غليظ:

- وهل تستطيعون فعل أي شيء بدون الحب؟

فسخر منه "نيتشة"، وقال:

- وماذا يفعل الحب في الرسم يا فان جوخ؟

فأخرج من جانبه ورقة بيضاء وبعضًا من الألوان السائلة ورسم حقل كبير واسع، طفل صغير أمه تمسكه من أسفل أبطه وعلى بعد مترات قليلة يقف الأب، وطمس وجههم إلا وجه الطفل، وقال:

- هذا الطفل أنا، وقد طمست وجوههم لأنهم واقع افتراضي على حد قولكم!

فبكى نبتشة وقال:

- لو كان مع رفيق أو حبيب لقطعت المسافات وحدي.

اقتحم حديثهم بكاء بصوت مبحوح، فنظروا خلفهم ليروا العبقري "تشارلي تشابلن" يبكي.

فتحرك أينشتاين تجاهه وسأله:

- لماذا تبكي يا مُهرّج؟

فقال تشارلي:

- أبكي لأنكم جميعكم تظنونني مُهرّجًا وحسب، أنا إنسان قبل أن أكون مُهرّجًا، وجهي لا يضحك فقط أحيانًا كثيرة يبكي.

ليتدخل أينشتاين صارخًا:

- اتركونا من المشاعر.. العلم أهم.

ليوافقه الجميع الرأي ما عدا "تشارلي" الباكي في ركن وحده، فأكمل أينشتاين:

- برأيكم كيف يمكن تحقيق السفر عبر الزمن؟

فرفع شيخ كبير يده ليتحدّث فقال:

- الإشارات الفيزيائية، والمعادلات من داخلها موسيقا مخفية، يعني مثلًا "واحد+ واحد+اثنين" إذا دندنتها في عقلك ستُعطيك لحنًا سعيدًا، على العكس السالب ستشعر بالحزن في لحنها.

فسخر منه شاب وقال:

- واضح أن عمى بصرك يا بتهوفن أعمى بصيرتك.

فنهره بتهوفن فقال:

- تأدّب يا نيوتن.

فقال:

- نتحدث عن النظريات النسبية، والفيزيائية، والثقب الدودي، وأنتَ تُحدّثنا عن الموسيقا!

فاقتحم صفو حديثهم رجل قصير القامة بشارب صغير وقال:

- محرقة هولوكست هي الحل.. نبيد الشعوب بأكملها ثم نكتشف الحل بهدوء شديد.

فقال أرشيمدس:

- نبيد ثم هدوء!!. من أي عالم أنت؟

فقال:

- أنا وحدي عالم، ولا عوالم حولي.

فسخر منهم هتلر مرة أخرى وقال:

- النار هي الحل الوحيد للوصول لفكركم.. الفكر الذي لا يحتوي على نار لا يتم على خير.. أحرقوا كل المعادلات والرياضة والمسائل وستجدون الحل.

فقال مينشل سريعًا:

- صحيح.. لأن الثقب الدودي حول الشمس الحارقة.

فلوّح هتلر بيده في وجهه وخرج من الاجتماع وهو يتأفف:

- ما رأيكم في دراسة الأديان السماوية كأنها مرجع فيزيائي؟

نطق بها أوغستين لوي كوشي.

فرد عليه داروين:

- الأديان توجّه العقل إلى طريق واحد.

فصرخ فيه يوستوس ليبيغ:

- من يتعرف على عظمة الله ومذاهبه يدرك إن الدين لكل المجـــالات ليست لمجال واحد.

- لا تخونوا بعضكم البعض.. فالخيانة أصعب من الموت!

- أنت من جعلتنا نخونك يا يوليوس.

***

أعظم لقاء شاهدته في حياتي.. لقاء بين أغلب العظماء.. نطقوا جميعًا جملة واحدة فقط لكنها كفيلة أن تفتح مدارك عقول الكثير والكثير..

- صفي لي الحياة في المستقبل البعيد بالنسبة للبشر العاديين والقريب بالنسبة لي.. تخيليه في عقلك وأنا سأشاهده.

لم تتلقَ طلبه لأن بالها وعقلها مشغول بشيء تعب قلبها.

- لقد ظلمتني يا مي.

قالها مازن في عقله.

- لا لم أظلمك يا مازن.. أنت بالفعل أردت أن تستغلني.

- ردّت عليه مي في عقلها:

- لأقسم أني لم أخنك.. كانت نيتي معك حب.

- لا.. أشعر بكذبك في حروفك.

- لا وألف لا.. هذا ظلم.

- وقلبي الباكي.

- انظري لعيني وأنت تتعلمين معنى البكاء!

- انظر أنت ليدي المرتعشة.

- سأقبِّلها.

- لماذا؟

- لأنكِ مولاتي.

- جرحتني!

- سأداوي جرحك.

- كذب!

- صدق!

- اتركني وشأني.

- اتركيني وشأني.

- اخرج من عقلي.

***

- كيف تحدثتِ مع مازن البارحة؟

- لم أتحدث معه يا أخي.. كان حوارًا دارجًا بيني، وبين وسادتي.

- كيف؟ كان يرد عليكِ كأنك أمامه!

- مصادفة!

- لا.. في العلم والأديان لا وجود للمصادفات.

- تفكير زائد!

- التفكير الزائد في علم النفس حب.

- تأففت مي، وخرجت من غرفتها حتى لا يُلاحقها يحيى في عقلها.

- ما الذي يشغلك يا مي؟

- محمد.. اتركني لحالي، وتركته وذهبت لدورة المياه فلم تسمع شـيئًا من كلامه إلا بعض السباب!

***

صوت والده يقتحم عقله:

- ابكِ كما تبكي يا يحيى لن يؤثر ذلك على قرارك السيء الخاطيء..

لقد قتلت نفسك بنفسك يا أحمق..ألقيت نفسك للتهلكة.. هل ظننت أنك ستدخل التاريخ من أبوابه.. أنت دخلت جهنم من أبوابها.. دخلت أسرع من كُفار قريش.. دخلت أسرع ممن مات وهو على زنا، ابكِ يا يحيى.. طهّر روحك النجسة، لا تنظر لي هكذا..روحك نجسة بالفعل.. تلوّثت بالماضي.. كنت تعيش في رغد وسعادة ورفاهية، تركت كل ذلك لتتعذب بين الماضي.. ترتدي نفس الملابس منذ زمن.. نفس رائحتك، أنفاسك، صراخك.. أنت أحمق يا يحيى.. سأقص عليك قصة صغيرة.

كانت عندي قطة صغيرة في يوم من الأيام تركت الحليب الموضوع على الأرض وذهبت.. في اليوم التالي وضعت لها اللبن مع القليل من السمك أكلت السمك، وتركت اللبن.. ثالث يوم وضعت لها اللبن مرة أخرى.. لم تشرب.. الرابع الخامس العاشر حتى تدهورت صحتها وماتت!

ضحكت عليها كثيرًا، كانت مثيرة للشفقة، جسدها النحيل أرهقني من السعادة البالغة، انظر لحالك، تشبهها كثيرًا، نحيل، كان اللبن أمامك وتركته لتأكل السمك واللحم.

تذكّرت الآن مقولة كنت أردّدها دائمًا "عش كالعصفور تموت كالصقر، وعش كالصقر تموت في الرمل.

القوة المفرطة تُهلك صاحبها، وإن كان ذو القرنين، والذكاء الفذ يُرهق صاحبه وإن كان أينشتاين، والسعادة المُبالغ فيها تقتل صاحبها حتى لو كان تشارلي تشابلن.

كم مرة بكى فيها المهرج خلف قناعه والجميع يظنه عرق وجهه، التفاني في العمل يقتل صاحبه حتى لو كان مهرجًا على

المسرح، القذارة فينا كبشر لكن بنسب مختلفة.

***

أتمنى أن أرى شخصًا فصيحًا اللسان ليخرجني من هذه الكآبة والوحدة، شخصًا يجيبني بالحكمة والهدوء.

***

- من أنت؟

- على ما أعتقد أنه يجب عليّ أن أسأل هذا السؤال!

- وهل تعتقد أن نومك في حديقة منزلي أمر طبيعي؟

- أعتذر، لكني مرهق ولست من سكان البلد.

- من أين أنت؟

- من بلاد بعيدة.

- ما إسمك؟

- إسم من أسماء الله.

- ما سنك؟

- من قبل الزمان بزمان!

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- الهروب من الماضي.

- وما الماضي؟

- هو المستقبل الذي مضى.

- لقد أعجبتني أيها الفتى.

- لا أنا لم أعجبك وما أعجبك هو ردودي.

- من فضلك اخرج من حديقة منزلي.

- أعتذر، لكني مرهق لا أستطيع التحرك.

- بأي حق لك ان تدخل حديقتي وأيضًا لا تتحرك.

- إنها ليست أرضك ولا حديقتك، فهي أرض الله ومال الله الذي اشتريته بيه الأرض.

- ما رأيك أن تذهب إلى الحجرة بالداخل وتنام.

- وما أدراني بنيتك؟

- هل تعتقد أن فتاة تعيش وحدها في المنزل تستطيع أن تقتل حشره حتى.

- حسنًا، سأنام في الداخل، وغدًا لنا حوار آخر صباحًا.

***

- حسنًا، لقد أدخلتك بيتي ونمت في فراش في منزلي، ألا يحق لي أن أعرف من أنت؟

- لكني لم أطلب منك شيئًا.

- لكنني أشفقت عليك!

-حسنًا، سوف أقص عليك ما يحلو لي.

- هل هي تُشبه قصه سندباد؟ أم تُشبه قصه روميو وجوليت؟

- لا قصتي لا تُشبه إلا قصتي!!

- حسنًا، تفضل.

- اسمي كما ذكرت لكِ من قبل من أسماء الله، سني من قبل الزمان بزمان، بلدي لا أحد يعلم عنه شيئًا سوى خالقه.. قصتي عندما أحببت امرأة وتركتني.

- هل قُتلت؟

- لا ماتت وهي تلد ابني.

- لا إله إلا الله.

- وهل هي غلطة طبيب أم الأم كانت ضعيفة البدن؟

- لا ليس في الطب أخطاء، إنما ما يريده الله هو الذي يحدث.

- هل بكيت عليها كثيرًا أم رضيت بقضاء الله؟

- بكيت عليها أكتر من عدد أنفاسي.

- صبَّرك الله.

- وعندها قررت أن أعيش لنفسي فقط ولا أعيش لأحد آخر حتى ولو كانت زوجتي.

- هل زوجتك كانت جميلة؟

- كانت أجمل من الجمال بشيء بسيط.

- ما اسمها؟

- اسم ملاك من ملائكة الرحمن.

- هل الجنين كان صبيًّا أم فتاة؟

- رجلًا يتحمل الصعوبات.

- هل تزوجتها عن قصة حب مثل القصص؟

- لقد أحببتها أكثر من روحي التي وهبها الله لي.

- وما الدواء إذًا حتى تشفى من مرض الوحدة؟

- لست مريضًا، بالعكس سعيد.

ثم خرج من بيتها.. يتحرك قليلًا ليقابل شيخًا كبيرًا:

- ماذا بك يا فتى؟

- بي نار لا تكفي لإخمادها أمطار.

- وما السبب؟

- اختارني الله حتى أكون من عباده المخلصين.

- منذ متى وأنت في هذا الشقاء؟

- منذ أن وُلدت.. فعندما وضعتني أمي بكيت.

- ومتى ينتهي هذا الشقاء؟

- عندما يبكي أصدقائي على فراقي.

- وهل لك أصدقاء؟

- صديقتي الوحيدة هي وحدتي.

- وهل ترافقك دائمًا؟

- نعم.. فهي معي قبل أن يكتب الله عمري.

- أين عائلتك؟

- عائلتي يلهون بأموالي.

- ولماذا لا تلهو معهم؟

- لأنهم السبب في جمع مالي.

– تعالى معي لنصلي.

– لا.

– هل أنت كافر؟

– وما مفهومك عن الكفر؟

– هو رفض الشرائع !

– وما شريعتك؟

هي شريعة الأمة السائدة.

- هل تقصد القتل والنهب؟

- من أنت؟

يوجد دم على يدي.. هل أنا قاتل أم مقتول؟ غسل المسيح يدي.. ساعدني عيسى في جمع ملابسي، تكلم محمد معي عن مكارم الأخلاق.. رباني آدم على القوة.. أرضعتني حواء..أملك جمال يوسف.. أملك مكر مسيلمة.. شعرت برحمة الرب في قلبي.. شممت رائحة الموت.. تذوقت طعم الدماء.. أحسست بخوف أهل الكهف.. شعرت بقلب يونس في الحوت.. أثارتني دمعة نوح على ولده.. بكيت عندما علمت أن زوجة فرعون لا تلد.

إنني في ريعان شبابي لكن قلبي مات من زمن.

صامت لكن بداخلي أقوال كثيرة.

وحيد لكن أنفاسي تداعب عقلي.

أخاف لكني أخاف من نفسي على نفسي.

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ .

- كل هذا تعريف لك يا بني؟!

فنظر له الشاب المجهول ورحل!

***

قاعة كبيرة.. مليئة بالكراسي.. الطرابيش تظهر بوضوح عليها.. سيدات ترتدين فساتين قصيرة لمنتصف الركبة.. مسرح كبير.. سيدة تقف في منتصفها ويترل أمامها مكبر صوت تقول:

"كان لك معايا.. أجمل حكاية في العمر كله.. سنين بحالها مافات جمالها على حب قبله، سنين ومرت، زي الثواني، في حبك أنت، سنين ومرت زي الثواني في حبك أنت، وان كنت أقدر أحب تاني.. أحبك أنت".

كلمات الأغنية مع صوت الست بكى يحيى، تذكر حبيبته، تذكر السنين الماضية معها:

"كل العواطف الحلوة بينا، كانت معانا حتى في خصامنا، وإزاي تقول أنساك وأتحول وأنا حبي لك أكتر من الأول، أكتر من الأول، وأحب تاني ليه!؟"

وضع يده على شفتيه، تذكر قبلتهما الأولى، أستنشق رائحتها المحيطة به، تنافس مع عقله بشدة حتى لا يذهب لها، نجح في ذلك، جلس في ركن هادئ بعيد عن الجميع، وسأل نفسه سؤالًا واضحًا:

- ماذا فعلت في نفسي؟

لِيُظلم المكان من حوله، ممر طويل على اليمين واليسار زنازين، مساجين يصرخون، صوت كهرباء يخرج من أخر زنزانة، أقترب ببطء، صوت الصراخ يزيد، وقف أمام باب الغرفة، شاب مستلقٍ على طاولة حديدية وحوله رجلان يمسكون سلك كهرباء موصولًا بجهاز كهربائي طويل.

فقال الرجل الأول بسخرية:

- هل نقتله...إنه مثل الصخر لا يموت.

فقال الثاني:

- الصخر لا يصرخ إلا بتكسير عظامه.

فصرخ الشاب المُعذب:

- لن أخبركم.

فصفعه الأول فأسكته، أما الثاني أحضر سوطًا طويلًا ليضربه على بطنه.. فأغلق الشاب عينه ليستقبل الضربات بهدوء أعصاب.. صوت اقتحام السوط بين ثنايا الهواء فشعر بدن يحيى،ارتطم السوط بجسده فترف.

فصرخ يحيى:

- من هذا؟

طاولة يجلس عليها خمسة أشخاص، على رأس الطاولة "تشي جيفارا".

فقال جيفارا:

- الخامس والعشرون من نوفمبر هو يوم الهجوم، أريد حوالي مائة رجل محارب لا يخافون الموت.

فرفع شاب من على يساره يده:

- باتيستا قوي يا تشي.

فرفع جيفارا رأسه عاليا وقال:

- الثورة أقوى يا رفيقي.

***

تمر الأيام.. يُجهّز جيفارا الأسلحة والذخيرة والأدوات الطبية اللازمة لهذا الهجوم، أقسم الخمسة ومن ضمنهم الشاب المعُذب على عدم خيانة هذا التجمع.

تحرك الخمسة وخلفهم حوالي مائة رجل، مجرد هبوطهم ليستعدوا للمعركة انهال عليهم وابل من الرصاص القوي وقتل منهم الكثير، جيفارا رأى أصدقاءه يقعون أمامه، أخذ سلاحه وضرب يمينًا ويسارًا وأسقط الكثير من جيش باتيستا.

استطاعوا أن يقبضوا على اثنين من جيش جيفارا، منهم من مات في منتصف الطريق والآخر ما زال حيًّا ويقاوم.

حاول تشي أن يضربهم ليحرر زميله لكن المقاومة أكبر، فأمر الباقي من رفاقه بالانسحاب.. مجرد دخولهم المقر السري أقسموا على الأخذ بالثأر لزملائهم، وأقسم جيفارا أنه سيكون مقاتلًا حتى الموت.

- إلى متى سأظل هكذا، إلى متى سأكون هاربًا من الحاضر لأشاهد الماضي، الماضي ممتع لكنه مؤلم، لكن بلا شك الحاضر أكثر ألمًا، الماضي بكل قاذوراته هاديء، استمتعت كثيرًا برؤية الأجداد، تعلمت منهم الكثير والكثير، لكن للأسف لن أستطيع أن نقله لأحد في المستقبل، مهلًا! مي أختي! كيف يمكنني التواصل معها؟ دلني يا رب على الحل.

كهف، ماء، شمس، سماء، قمر، أرض.. هذه الأشياء حوله، كيف أتى القمر والشمس في لحظة واحدة! هل هذا حلم جديد؟ أم انتقلت إلى مكان معين!

تجوّل في أنحاء الكهف كأنه يتجوّل في بيته، الطفلة الآن ثلاث سنوات، الزمن توقف عندها، لم تكبر لمدة ثلاث سنوات عن عمر ثلاث سنين، وقف يحيى الزمن مجرد ضغطه على حجر معين وذلك يفسر كيف اكتشف طريقه انتقاله للمستقبل وهي في عامها الرابع، تردد كثيرًا قبل أن يفعل شيء، وقف مكانه حائرًا، حائط كبير أمامه، عكس جسده أصبح ظهره مقابل للحائط، فأراح ظهره حتى جلس على الأرض، فرأى أمامه نقشًا لصورة كلب باسط ذراعيه محفورة على الكهف وأينشتاين يفحصها بيده، فنظر فوقه فوجد "هذا الكهف لا يخضع لأي عامل من عوامل الزمكان" محفورة بدقة وعناية شديدة، فنهض سريعًا وفتش في كل الحوائط الموجودة في الكهف على أمل فهم أي شيء، شكل أخته محفور على حائط، شكل جهازه مرسوم على حائط آخر، فضغط بيده على الحائط المرسوم عليه جهازه ففتح له بابًا سريًّا، في الحائط.. دخله بدهشة رهيبة، غرفته

بتفاصيلها، كل شيء موضوع مكانه، ففتح باب غرفته من الداخل وخرج له، أمه حاملة أخته على كتفها وثابتين لا تتحركان، قطة صغيرة تأكل قطعة سمك ثابتة، كل شيء ثابت كأنهم تماثيل، فغر فاه، فظهر نور من منتصف الغرفة وصرخ فيه قائلًا:

– يا أحمق، كل هذه إشارات أنك تستطيع التحكم في الزمن من خلال هذا الكهف، فهذا الكهف هو كهف الرقيم، هذا الكهف ما أوى إليه الفتية من طيش الملك، خذ هذا الكهف كعلامة فاصلة في حياتك، ألم تسمع قصة أهل الكهف من قبل؟ يقال إن كلبهم استيقظ ثلاث مرات، كل مائة عام مرة، يحركهم بفمه ثم ينام مرة أخرى، الكلب باسط ذراعيه مثل النائم وقت العصر بعد حرث الأرض ظهرًا، والفتية كانوا موتى في نظر الجميع، ناموا ثلاثمائة عام وظنوا أنهم ناموا دقائق معدودة.

فقال يحيى بخوف:

– ما الذي يمكنني فعله؟

– نفس الذي فعله الأنبياء، بلغ رسالتك لها، وأشار إلى مي أخته.

– كيف؟

صرخ بها يحيى

– عن طريق الإشارات الفيزيائية الموجودة في الكهف، عن طريق قلبها الصغير ككف يدها، عن طريق عقلها الطفولي، لكن لا تقتحمه، أدخله بهدوء، أدخله عندما تكبر الفتاة، هي الآن لن تستطيع فهمك، تمثل لها في شكل عصفورة أو ما شابه، ستحبك، اجعلها تؤمن بوجودك.

ثم اختفى الشخص المتكلم فبقي يحيى وحيدًا، رجع مرة أخرى لغرفته، أصابته الدهشة، كيف استطعت الوصول للماضي ورؤيته بهذا الشكل، هل استطعت فعلًا تشغيل هذا الجهاز بسيط الصنع وجعلته يسافر بي للماضي، ففتح بابه الصغير ودخله مرة أخرى لكنه لن يعمل هذه المرة، لأن باب الخروج في الغرفة وليس الجهاز، فخرج من الجهاز ودخل مرة أخرى للكهف.. فتمنى أن يتجسد في شكل عصفورة!

فسمع صوتًا طفوليًا يقول:

– خذني بين حضنك.

فتلفت حوله ليرى مصدر الصوت، فعاد الصوت مرة أخرى ليقول:

– أخي، ساعدني يا أخي.

ليصرخ يحيى، ويلتف حول نفسه:

– ما الذي يحدث؟ وكيف يحدث؟ وأين يحدث؟!!

فأجابه صوت جهوري: يحدث في عقلك بمحاربة قلبك، لن تفلت بعملتك، اكتشف الكهف جيدا لتهرب مني.

– من أنت؟

– أنا من ذكر في القرآن لأعلم الناس الفرق بين السحر الأسود والسحر الحقيقي.

– لا أستطيع فهمك؟

– لأنك أحمق!

- ما السر وراء كلمة أحمق المكررة كثيرًا؟!

- لأنك قليل العقل، لا تظن سفرك بين ثنايا الماضي ذكاء منك!

بالعكس هو تسهيل من الله لك لتعلم مدى حماقتك.

- هل اختبرني الله في ذلك فقط؟

- لا اختبرك الله في أشياء كثيرة من ضمنها "سماعك الأذان وعدم تحركك، زكاة لم تخرج من جعبتك، كلمة طيبة لم تتصدق بها، فكنت خير مثال للشاب الأحمق.

- يحيى..

صرخت بها مي.

-مي، أين أنت؟

- ساعدني يا أخي.

- كيف يمكنني مساعدتك؟

- فصرخ الصوت الجهوري ليتردّد في الكهف "كن كالعصفورة واظهر لها.

عصفورة تطير في غرفتها.

- مي.. أنا يحيى.

لتأخذها مي في كفها الصغير، وتداعبها وتقبلها:

- أحتاج إليك يا يحيى لتساعدني.

- كيف.. أقنع أمي بوجودك؟

يفكر يحيى في حل، فيفاجئه عربي قائلًا:

- استيقظ يا شبح لقد وصلنا لعصر صلاح الدين.

- مَن صلاح الدين؟

صرخ بها يحيى:

- صلاح الدين!! معركة حطين! ويحك يا أخي! هل قرأت تاريخًا من قبل؟!

- أين كنت أنا من الأساس لأصل لصلاح الدين؟ وما علاقته بكلامي! هل جننت؟!

- أبي، أريد التحدث معك لا أستطيع فهم أي شيء يا أبي.

- أنا معك يا ولدي، احكِ.

- كيف جئت!

- سخر الله لك كل ما تتمناه.

- ولماذا اختارني أنا؟

- لأنك حاربت كثيرًا للوصول لهذا الشرف.

- وهل تظنه بالفعل شرفًا؟

- ونعم الشرف.

- أنا مشتت يا أبي!

- هل تتذكر دراستك للرياضيات والفيزياء؟ طبقهما عمليًّا الآن، الآن وقت العمل والجد. الكلام ذهب مع أدراج الرياح.

- لا أفهم!

- لا تستطيع فهم أي شيء الآن، اترك روحك هائمة والله سيُنجّيها.

- لا أستطيع تركها هكذا دون حساب!

- لماذا؟

- أخاف!

- هل تخاف ممن وهب لجسدك الروح! اعقل يا يحيى يا بني!

- اشتقت لك يا والدي

- وأنا لم أشتق لك، لأنني معك يوميًّا.

- معي! أين؟!!

- في كل حركة من حركاتك، في كل همسة من همساتك، في كل خطوة من خطواتك.

- كيف السبيل للخروج من هنا؟

- الكهف.

– أي كهف!

– كهف الرقيم.

– أي كهف رقيم؟!

– ألم تسمع من قبل عن "كهف الرقيم"؟ الرقيم معناه اللوح المحفور.. في أسامي أشخاص بعينهم.

– وهل حفر اسمي في كهف!

– أشعر أنك الشخص المختفي من أصحاب الكهف!

– توضيح من فضلك.

– هل استطاع أي عالم أن يذكر عدد من كان في الكهف؟

– هل تقصد أني الكلب مثلًا!

– لا يا خفيف الظل، احسب عدد ساعات نومهم.

ثم اختفى الأب ليترك الابن في جنون رسمي، ومثلما دخلت الغرفة عن طريق حائط من الكهف يمكنك الدخول مرة أخرى، وإن لم تستطع هناك البعد الرابع حول الشمس، تمنَّ شيئًا وسيحدث.

– أريد أن أعطيها المدونة.

– يجب عليك قذفها من البعد الرابع لكنها صعبة بالنسبة لك لأنك روح، انظر خلفك.

فنظر يحيى خلفه فرأى مي ترتدي فستانًا أسود فقال:

- أنتِ جميلة يا مي.

فسمعتها على شكل صدى صوت في غرفتها فقالت:

- يحيى، أين أنت؟

فقال:

- في قلبك يا مي، سأعطيكِ كل الأدلة على وجودي.

تحرك خطوتين للأمام فصغرت مي في العمر! فرجع للخلف خطوتين فكبرت عامين.

فنظر له والده وقال:

"الزمن نسبي مطاطي يا بني، أنت الآن تتجول في سني عمرها، لو تقدمت خطوات كثيرة ستراها وهي جدة.

فتحرك يحيى سريعًا فلم يرَ شيئا، فقد توقف عمرها عند عامها الثلاثين، نفس عامه عندما رحل!

***

على سفح الهرم الأكبر جلس يحيى يفكر ويفكر في آخر كلمة قالها والده:

"احسب عدد ساعات نومهم".

فقال:

- ولبثوا في كهفهم ثلاثة مائة سنين وازدادوا تسعًا.

مدّةَ نومِهم تُساوي 300 سنة شمسية ؛ وهـي تُعـادل 309 سـنوات قَمرية، السنة الشمسية = 365 يومًا السنة القمرية = 354 يومًـا 300 × 365 = 109500 يـوم309 × 354 = 109386 أيام وبمـا أنّ الـسنة القمرية = 354 يومًا و 8 ساعات و 48 دقيقة.

إذًا 8 ساعات و 48 دقيقة = 528 دقيقـة، اليـوم = 24 سـاعة = 1440 دقيقة، 1440 / 528 = 30 / 11 من اليوم الواحـد 300 × 30 / 11 = 110 يوم، وبما أن السنة الثانية والخامسة والسابعة والعاشرة سنين كبيسة.

إذًا 309 − 300 = 9 = 10؛ لأن السنة التاسعة قريبة من العاشرة.

وبناء على ذلك يحصل لدينا أربعة أيام أخرى.

109386 + 110 + 4 = 109500 يومًا، وهو نفس عدد أيام الـ 300 سنة الشمسية.

وأخيرًا، فإنّ 300 سنة شمسية تعادل 309 سنوات قمرية.

فصرخ:

– وجدتها، وجدتها، ورقص على سفح الهرم، شعر أنه بدأ في إمـساك أول خيط من خيوط الوصول.

***

- مي...بعد إذنك!

- نعم يا مازن؟

- أنا مظلوم!

- أثبت!

- فأمسك مازن يدها فسحبتها سريعًا فقال:

- كيف يمكنني الإثبات وأنت تهربين مني!

- لأنني عندما اقتربت منك اكتشفت أشياء كانت مخفية عن عيني.

- عينك (بصلتي) في الحياة!

- كفى كذبًا!

- قسمًا بجمال روحك بحبك.

- بعد إذنك، عندي محاضرة.

فتحرّكت تجاه القاعة وتحرك وراها ليسمعها، دخلت القاعة المجهزة بالكامل، وقفت على المسرح بعد تحية البعض وسخرية البعض.

قالت بهدوء:

- من يريد سماعي بدون سخرية يجلس، أما من سيسخر أتمنى أن يخرج من القاعة.

فخرج اثنان وجلس الباقي منصتين، أعينهم على عينها، جلس مازن في الكرسي الأخير في القاعة بجانب سماعة كبيرة.

ففتحت المدونة وقالت:-

- استطاع أخي أن يحسب عدد أيام التي نامها أهل الكهف بمقارنة السنة الشمسية بالقمرية، المقارنة لم تأتِ في صالح أخي، فرح قليلًا لكنه لم يكن يعلم أنه سيتعب كثيرًا بعدها، كيف يكون الفرق بين السنة القمرية والشمسية يومين فقط في حين الفرق بينه وبيننا أكبر من هذا؟!

لكنه بعدها توصل أنه لا يتبع لأي نظام من هذه الأنظمة، هو في نظام الكوكب الدوار، يلف مع كوكب الأرض كأنه كوب على المائدة، أخي لم يخضع لأي عامل من الزمان والمكان،استطاع توقيف الزمان مرات عديدة، اكتشفاه لمخابئ الكهف استطاع مساعدة الكثير من العلماء لكن بدون شكره، لم يرد هو من فعله ذلك أي شكر أو ثناء، لكن القليل من الاحترام لن يقلل من عقلكم!

فكرة الزمان عنده تشبه الكهرباء، تسير في أسلاك لتصل إلى كبس الكهرباء وتنير المكان، فالزمان عنده يسير في عقله ليصل لقلبه ليشعر به، المكان عنده يتبدل حسب حالته الوجدانية والعاطفية، المكان الوحيد الذي لم يذهب اليه هو يوم بدء، الخلق وكيف استطاع الله بداية الكون ورفع السموات وفرش الأرض، لكنه لم يبخل عليّ بأي معلومات، وذكر ذلك اليوم وقال فنظرت للمدونة.

"عندما أردت أن أصل لبداية الخلق، انتفض جسدي انتفاضة مريض على فراش الموت، تمكن العرق مني بشدة، تمكن الخوف من ملامسة قلبي كأنه صديق مقرب له، تمكن التفكير الزيادة من احتضان عقلي، نزفت من أسفل جسدي كالمرأة، سالت الدماء من أنفي، تصارعت أنفاسي مع نفسها، فأحسست أنه عقاب من الله لي كأنه يخبرني لا تفكر في هذا مجددًا، هذا خاص بي فقط.. فذهب تفكيري فورًا لتشارلي تشابلن! لا تسأليني: كيف انتقل تفكيري من كيف بدأ الخلق لتشارلي؟! فجلست أمامه، نظرت لوجهه، وجه باكٍ، فقلت لنفسي: "حتى صانع السعادة حزين" فاقتربت منه، عيناه تلمعان من الدموع، "لا تبكِ يا صغيري لا تبكِ!، هل أنت صديق شخصي لوريل وهاردي! من منهم السمين يا صغيري؟ أحب أن أدعوك يا صغيري بسبب فتاتك، أين هي! أجبني يا تشارلي أجب! ظننت أنني يمكنني التحدث معه! لكن للأسف لا أحد يجيب، لأني لا أحد من الأساس! إحساس زكريا مؤلم يا مي، لكن زكريا بقي ثلاثة أيام فقط لا يتحدث مع أحد! أما أنا عمر كامل! بمناسبة ذكر زكريا.. لا تحزني إذا حدث لك أي مكروه، فقومه لم يفهموا أنه المكلف

برعاية مريم، ولم يفهم الحمقى أن مريم كانت وحيدة لكن الله رزقها برزق مولودها.

لا تسعى للرزق بسرعة تحركك على الصراط الذين أنعم عليهم الله. أتذكر أنني رأيت الفاكهة الموضوعة في طبق بجانب مريم في المحراب، وأتذكر ابتسامتها الواثقة وهي تقول: "هو من عند الله" كم من امرأة نسيت أخلاق هؤلاء! وكم من رجل نسي أخلاق الرجال! وعندما رأيتها تلد وليدها نظرت للجهة الأخرى، كيف أنظر لأطهر من أنجبت الأرض.

فنظرت لمازن وقالت:

- أنا على يقين تام أنك ستموتين عذراء بدون زوج.

***

-هل درس أخوك الميتافيزيقا؟ قالها المذيع التلفزيوني لمي

-هل درس!! هل درس!! أخي عاشها بالفعل!

- وهل وصفها لك!

- نعم وصفها في صفحة من الصفحات الأولى فقال:

"جميع العلماء درسوا الميتافيزيقا على أساس خاطئ، الجميع درسها ما بعد الطبيعة، إنما هي في الحقيقة ما قبل الطبيعة، خلق الله الأرض ثم خلق الطبيعة، لم يخلق الطبيعة ثم الأرض! والمقصود بالأرض الكوكب عمتا، ثم

ميز الله كوكبنا عن باقي الكواكب بالأكسجين لنعيش عليه! والأرض الرطبة لنزرع والماء لنشرب والاكل لنأكل! لو كان يريد الله خلق كوكب آخر للعيش لكان خلق حواء على كوكب وآدم على كوكب واجتمع الاثنان في الفضاء الواسع وأنجبا الأطفال في كوكب أخر! الميتافيزيقا أبسط مما تظنون، فهي عبارة عن بعض الكلمات الوجودية فيها "اللاهوت، الكوزمولوجيا، الأنطولوجيا...الفلسفة الاسلامية ركزت على اللاهوتية في القرآن فقط، والمسيحية على الانجيل فقط، والملحدين ركزوا على الطبيعة فقط، وهذا خطأ فاحش! يجب دراسة كل شيء لنعرف من هو الله فعلًا! هل هو هواء أم ماء أم ضباب أم سحاب! بعد ترحالي بين هذا وذاك اكتشفت أن الله هو كل شيء، الله حولنا في السعادة والحزن والهدوء والغضب، الله أكبر بكثير من استخدامه كعباءة سخيفة! فأرفض رفض تام ذكره في الميتافيزيقا، الميتافيزيقا خاطئة حتى الآن، ادرسوا ما أمام الطبيعة ثم ادرسوا ما خلفها، الخلف ليس دائمًا دليلًا للتقدم!

كيف أتت التعريفات! يعني مثلًا لماذا تسمى السيارة بسيارة! لأنها تسير وتنقل البضائع والناس، ولماذا قومنا بتسميتها بضائع! لماذا لم نسمِ البضائع باسم آخر وسمينا اسمًا آخر البضائع؟! الوجوديات في علم الكلام تشبهها، نحن تعلمنا كذا وكذا ولا نستطيع تغييره، وإذا أردت تغييره يجب عليك تغيير فكر ألف عام قادم، وأشك حينها أنني سأكون على قيد الحياة.

السؤال الذي سأله أرسطو "هل نحن من يتحرك أم الزمن؟" لم يجد شخص الإجابة عنه حتى الآن، أما أنا أظن وأشك أننا ثابتون والزمن

يتحرك، نام أهل الكهف سنين عدة بدون تحرك، اختبأ محمد والصديق لثوان معدودة عن أعين الكفار وهم ثابتان، العقرب يتحرك ويلدغ الثواني ونحن نشاهده، بنى نوح سفينته وهو ثابت، رحلة الإسراء والمعراج حدثت في ثوانٍ لم يستطع أحد معرفة إذا كانت شمسية أم قمرية، الصفا والمروة رحلة شاقة ومتعبة لكن الله يعطي لعباده القوة الكافية ليحققوا أشياء بعينها، لستُ بدجال، ولست بكاذب، الترحال مؤلم للبدن لكنه مريح للعقل.

هل 1+1= 2 بالفعل! ماذا إذا كان 1+1=3 أو 4؟!! لماذا رقم اثنين! بكل بساطة لأن الله خلق الأعداد في تساو، حتى في خلقه للأرض خلقها في ستة أيام متتالية، لا مهلًا!

هل بالفعل خلق الله الأرض في ستة أيام متتالية أم متفرقة! أم الستة أيام عند الله بستة ساعات من عندنا!

أسئلة كثيرة لم أستطع الإجابة عنها حتى الآن، لكن صدقًا دعوكم من شبح الميتافيزيقا.

فسألها المقدم

– ما علاقة كل هذا بسفره عبر الزمان؟

فردت بهدوء:

– الخلط بين مفاهيم السفر عبر الزمان والرجوع بالزمن خاطئ لفظًا وموضوعًا.. أخي رجع بالزمن، كل ما رآه كان في الماضي، الحاضر والمستقبل من السفر عبر الزمان، لا يستطيع معرفة المستقبل ولا تغيير

الحاضر، أخي عبارة عن مفتاح رأينا فيه الماضي، وشممت فيه عبق التاريخ وعرق الأمراء القدامى.

- كيف وصلت لك المدونة؟

- ما أكثر موقف أثارك أنت شخصيًا يا مي؟

- وصفه للفاروق!

***

الصفحات الأولى من المدونة:

هو أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، الفاروق، اختار اسمًا قويًا مثله، الرجل الذي تهاب منه الشياطين والجان، لولا رؤيتي لمهلائيل لظننت أنهم شخص واحد من قوته، طيب القلب، غليظ الحكم على المخطئ، قوي للضعيف، ينقذ العاصيين من جهنم قلبهم وجحيم عقلهم وعمى بصيرتهم، هذا الرجل من جعل القدس تحت الحكم العربي! أين أنت يا فاروق؟! أين أنت؟!

أين أنت لتجعل الأمة الإسلامية قوية لا تخشى شيئًا، أصبحنا نخشى كل شيء مثل الأطفال، الطفل يخاف من دميته ويظنها ستقتله، أما نحن، نخاف من الحرية كأنها سكين حاد سيدق أعناقنا، الحرية الحقيقة تعريفها عند الفاروق إنها كل شيء لا يؤذي الآخر شكلًا ومضمونًا.

من يمكنه أن يجعل الشيطان يفر من أمامه مثله، من يمكنه جعل الجان مسلم مثله...نحن عبارة عن أشباه مسلمين وأشباه رجال وأشباه نساء حتى!

سأقص عليك موقفًا حدث أمامي من الفاروق.

تعرضت الأمة الإسلامية لنكبتين أصعب من بعضهما البعض، الأولى انتشار الطاعون والثانية المجاعة، واسودت الأرض من قلة المطر وتحول لونها إلى الرمادي من قلة المياه، أما الطاعون انتشر بشدة في بلدة عمواس، فدار حوار قوي بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح

فقال أبو عبيدة نقلًا عن الرسول: " إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارًا منه".

فرد عليه: "نعم، نفر من قدر الله لقدر الله، أرأيت لو أن لك إبلًا هبطت واديًا له جهتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة، أليس لو رعيت في الخصيبة رعيتها بقدر الله، ولو رعيت في الجدبة رعيتها بقدر.

فرفض أبو عبيدة الخروج وحاول الخطاب بشتى الطرق ان يخرجه منها، فأبى عبيدة الخروج، وبعد مرور أيام قليلة ذاع المنادون بوفاة خمسة وعشرين ألف مواطن ومن ضمنهم أبو عبيدة، فصلى عليه الخطاب وبكى عليه بكاء شديدًا.

كان رجل يعرف الحق كنور الشمس للبشر، حتى مع زوجته عندما أرادت الحلوى، فقررت الذهاب لحافظ إبراهيم لأسمعها بصوته فقال:

إن جاع في شدة قوم شاركتهم   في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها
جـوع الخليفـة والـدنيا بقبـضته   في الزهـد منزلـة سـبحان موليهـا
فمـن يبـاري أبـا حفـص وسـيرته   أو مـن يحـاول للفـاروق تـشبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها   من أين لي ثمن الحلوى فأشريها

لا تمتطي شهوات النفس جامحة فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها

و هل يفي بيت مال المسلمين بما   توحي إليك إذا طاوعت موحيها

قالت لك الله إني لست أرزؤه   مالًا لحاجة نفس كنت أبغيها

لكن أجنب شيئًا من وظيفتنا   في كل يوم على حال أسويها

حتى إذا ما ملكنا ما يكافئها   شريتها ثم إني لا أثنيها

قال اذهبي واعلمي إن كنت جاهلة   أن القناعة تغني نفس كاسيها

وأقبلت بعد خمس وهي حاملة   دريهمات لتقضي من تشهيها

فقال نبهت مني غافلًا فدعي   هذي الدراهم إذ لا حق لي فيها

ويلي على عمر يرضى بموفية   على الكفاف وينهى مستزيدها

ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به   أولى فقومي لبيت المال رديها

كذاك أخلاقه كانت وما عهدت   بعد النبوة أخلاق تحاكيها

***

الأيام الأخيرة قبل اكتشاف السر العظيم:

جلست مي القرفصاء في غرفة أخيها نظرت أسفل فراشه لتجد الكثير من التراب، ورقًا، حذاء، فسحبت الورق بهدوء طردت التراب من فوقه، فتحته بهدوء:

"أمي تعاملني كأنني مجنونة. تعاملني بغلظة، كأن قلبها يخبرها أنني سأصاب بمكروه، إذا وصل ليدها هذه الأوراق فبالتأكيد متُّ أو سافرت للماضي، مي، الملاك على هيئة إنسان، لو لم يرد الله لي الرجوع بالزمن سأجعل هذه الفتاة ملكة. سأدللها. سأراعي الله فيها، ابتسامتها الطفولية لي ترفع عني الحزن والهم.ضحكتها تشبه جمال سورة الرحمن، أشعر بتلامس رهيب بين روحي وروحها، كأن الله يلهمني أنها محبوبتي حقًا، لو قرأت عليك والدتك هذه الأوراق سأكون مسافرًا أو ميتًا بالتأكيد أيهما أقرب، لكن اعلمي أني بحبك يا فتاتي المدللة، وإليك سر جهازي.

جهازي من الخلف موصل فيه أسلاك كهرباء وحاسب آلي صغير عليه معادلات رياضية معقدة نفذها لي صديق يهوى اللعب في أنظمة الحواسب، لو لم تستطيعي فك شفراتها اذهبي له "أمير المهدي..

طالب في حاسبات ومعلومات ويسكن في شارعنا وصاحب محل الأمير للحواسيب".

ساعدني كثيرًا في هذه المعادلات.. دخل على مواقع سرية لأكثر من دكتور في مجال الفيزياء الحيوية والكيمياء والجيولوجيا.. مع خبرتي في علم الميتافيزيقا استطعنا أن نضع معدلات بأوزان معينة داخل الجهاز.

من فضلك لا تقرئي الورق القادم لأنه خاص بمنار.

***

تحرّكت مي تجاه المختبر خلعت الحاسوب من الجهاز حاولت فتحه فلم تفهم المعادلات الرياضية ولا طريقة فتحه.. فنزلت للشارع تبحث عن أمير لتحافظ على الوقت، فسألت حارس العقار فقال لها بلهجة صعيدية:

- أمير ماشي من هنا بقاله خمس سنين، راح المعادي.

فقالت:

- أي حي؟

فقال:

- العلم عند الله يا ابنتي، بس على ما أتذكر رقمه معايا.

فأخرج هاتفه وبحث في سجلاته وقال:

- اتفضلي يا ابنتي.

فأخذت مي الرقم واتصلت فرد عليها قائلًا:

- السلام عليكم.

- عليكم السلام..أستاذ أمير؟

- أؤمريني.

- أنا مي أخت يحيى.

صمت لحظات ثم قال:

- أؤمريني.

- قرأت ورقًا بخط يد يحيى، أنك قمت بمساعدته في جهاز..

- صح.

- ممكن أقابلك؟

فاتفقوا على الميعاد وذهبت في الوقت والمكان، رجل بدين، شعره أبيض، يرتدي قميصًا أسود وبنطالًا أسود، مجرد رؤيته لها وقف ومد يده فسلّمت عليه وجلسوا أمام بعضهم البعض أمام نهر النيل مباشرة فقال:

- لم أنم جيدًا طوال العشرين عامًا الفائتة، شغل أخوك بالي كثيرًا، أحترت كثيرًا خوفًا على روحه.

فقاطعته مي قائلة:

- روحه! ماذا تعرف عن روحه؟!

- روحه هائمة في بحر من الذكريات،جاءني مرة في المنام، لذلك تركت البيت القديم وأغلقت المحل، صدقًا يا مي كرهت اليوم الذي نفذت فيه عملياتي الحسابية تلك.

- ماذا قال لكِ في المنام؟

- شكرني كثيرًا على وقوفي بجانبه وتمنى لي الخير في حياتي وتوقع لي المزيد من النجاح في نظام البرمجة، وقال لي نصًّا: "لقد رأيت الكثير والفضل لك يا صديق في فك رموز عقل أينشتاين وجون ومينشل".

- كيف استطعت فك رموز عقلهم؟

- أي حاسب آلي يحتوي على قطعة صغيرة يمكن شحنها بأي نظام نريده، فقمت بشحنها لنظام اخترعته بناءً على معادلة لأينشتاين عندما سؤل عن النظرية النسبية، وبعدها بشهرين أو ثلاثة مات يحيى..

- أريد السفر له.

- لا.

- سأدفع لك كل ما تريد.

- القصة ليست في المال يا محترمة!

- آسفة.

- موت شخص ثاني خطأ لن أرتكبه ثانية.

- من قال لك إنه مات؟!

- هل هو حي يرزق؟

- نعم، حي، رجع بالزمن بالفعل، قسما بالله رجع بالفعل.

- بسبب حاسوبي؟

- بسبب حاسوبك.

خيّم الصمت للحظات على المكان، تذكّر يحيى وهو يقف أمامه ويقول له:

- لا يوجد سواك.. أنت فقط من يمكنه مساعدتي.. أقسم لك أننا سننجح.. انظر.. أينشتاين أكد معلومة الرجوع بالماضي أكثر من مرة في أكثر من كتاب، وأكدها مينشل.. انظر لعيني.. عيناي تصرخان لي إنهما تريدان النوم، ساعدني يا أمير، ساعدني يا أخي.. سندخل التاريخ من أوسع أبوابه، سنكون أعظم إثنين مر عليهما التاريخ".

ثم قال أمير:

- اتركيني لمدة يومين، سأسترجع لكي ما فعلته في عقلي وأتصل بكِ.

- سأنتظرك.

ثم همّت بالرحيل ورحلت بعيد عن عينه.

أراح هو ظهره على الكرسي وقال في عقله الباطن:

- تبًّا لك يا يحيى! أشعر أن الله سيعاقبني أشد عقاب بسببك.

فدخل يحيى عقله وقال:

- لا تفعلها أرجوك، لا تفعلها.

فرد أمير:

- يجب عليَّ أن أفعلها.. يجب أن نعرف أين أنت.

– إذا فعلتها يا أمير سأموت!

– وهل أنت من الأساس حي!؟

– نعم حي.. أنني أسافر عبر كل الأزمان وكل الأكوان،رأيت ما لم ترَ عين ولم يخطر على قلب بشر!

– اثبت لي أنك بالفعل رجعت للماضي.

– أنت لم تذكر لي أي تفصيلة من تفاصيل حياتك؟

– أكمل!

– والدك كان يتفنن في تعذيبك جسديًّا ونفسيًّا.. في عمرك السابع عشر هربت من البيت للحي الخاص بي وفتحت محل في مجال فهمك من مال أخذته من والدتك أو بمعنى أصح سرقة ذهبها!

فسكت أمير وقال:

– حسنًا، سأساعدك.

***

"رُدَّه إليَّ يا الله".

هكذا قالت أم موسى عندما ألقت به في اليم، فكافأها الله ورده إليها عزيزًا سليمًا معافًى، لأن الله رحيم بعباده أراح قدم هاجر العظيمة زوجة إبراهيم الأعظم، وعقلها وجسدها العظيمة وفجر لها عين ماء بارد يريح الإنسان الفاني مثلنا، حتى سليمان الملك أعطاه الله أقوى قوة بشرية على الإطلاق،مريم العذراء، يا لها من سيدة يعشقها جميع الناس! كانت وحيدة، حزينة، ثم رزقها الله بالمسيح، أخلاق مُحمد سمحت له بالسيطرة على قلوب البشر، وجع قلب بلال بسبب الحجر أراح قلوب المسلمين أجمعين بصوته القوي، وضع الصليب لعيسى اتخذه المسيحيون قدوة من بعده.

إذًا هل تظنون ان الله ينسى قطة خلقها، حتى النملة الصغيرة رعاها خالقها، نحن عبارة عن ريشة صغيرة على متن سفينة نوح.. نحن كائنات صغيرة الحجم عظيمة الذكاء..نحن البشر..البشر أقوى من جميع المخلوقات لكن بسبب حماقتنا نسينا هذا.

هكذا بدأت مي كلامها في كلية الآداب بجامعة عين شمس أمام الكثير من الطلاب فأكملت:

"يا من جئتم اليوم لتتحدثوا معي، أنا أمامكم الآن، أنا الشيطان الذي تدعون الله أن يبعدكم عنه، أنا الملاك الأبيض ذو الجناحين، لكنهم حادون، ألم تسمعوا مقولة: "خيرًا تفعل شرًّا تلقي"، أنا الشر الذي قصدتم به خيرًا، أنا الخير المبطن بالشر، أنا الشر الخفي، أنا الترحال، واللقاء أصعب وأعظم من أي شر، هل تعلمون أن الباقي منكم الآن يعيش سعيدًا!

بالتأكيد تسألون: من الباقي منكم!

سأخبركم في النهاية..

علاقة الحب واللقاء تشبه لمس العضو الذكري للعضو الأنثوي، ينزل فيه المئات والمئات من الحيوانات المنوية، لك أن تتخيل معي أنت كنت تحارب لتسكن داخل البويضة، ثم تكبر وتصبح جنينًا، ثم تكون كائنًا أرضيًّا! تبًّا للأرضيين!

الترحال، ما أعظمه! ما أحلاه! ما أجمله!

أول لحظة من لحظات الحب تشبه الصدمة الكهربائية، جسدك بأكمله يرتجف، الفرق الوحيد بينه وبين الصدمة، إن شعرك يقف احتراماً لصعقة الكهرباء، لكن في الحب مشاعرك تقف احترامًا للشخص الذي اقتحم جدران معابد قلبك، قلبك معبد مسيحي لا يقبل الزواج منه إلا مرة واحدة.

تقول الدراسات العلمية إن تسعة وتسعين وتسعة من عشرة من علاقات الحب تنتهي بفشل، فذاك يحب ذلك،وذلك يكون لكذلك، وذاك

يكون لآخر! من الممكن أن يدخل الكثير في معبد قلبك، لكن كما قلت إن الزواج مرة واحدة فقط! سيعاقبك حاكم قلبك علي كثرة زواره، والعقاب يكون ألف جلدة علي الوتين! العقل يمسك السوط، ومشاعرك تكبل قلبك، لا تنتظر الأمان من شخص، فالله موجود، هو الأمان، هو الأمان، عاش حب الله في قلوبنا، يا الله لا تؤلم قلوبنا بسبب شخص ظننا أن الراحة معه.

ضجَّ المدرج بأكمله بالتصفيق الحاد، أرادت أن تبكي، خرجت سريعًا من باب جانبي بجانب خشبة المسرح، هرولت الي دورة المياه لتمسح دموعها، فجاء لها منظم الحفل وطلب مني الرجوع لأنه سيؤذي، جررت قدمها، وقفت كما كانت في منتصف المسرح، وقالت بهدوء:

- الأسئلة ممكن؟

فرفعت فتاة يدها، فتاة ترتدي الحجاب الذي لا يستر إلا شعرها وكأن الحجاب خلق للشعر فقط! ألم تقل تبًّا للأرضيين! فقالت بنبرة سخرية:

-أشعر أنك في حرب ولست ندوة!

فقالت لها:

- وأنا أشعر أنك في ملهى ليلي وليست جامعة! جميعها أحاسيس ومشاعر، أنا أشعر وأنتِ تشعرين وهذا يشعر وذاك يشعر، والجميع أصبح يشعر بما يشعر به الآخرون مع أن الله عز وجل خلق شعورنا مختلفة، كلٌّ يشعر بما يشعر به الآخر، لا داعي للمنافسة في الشعور!

فرفع شاب يده قائلًا:

- أستاذة، بدون سخرية وسؤال جاد جدًّا! من أنتِ؟ كيف صدقنا منك قصة أخيك بهذه السهولة؟! هل أنتِ من جماعة أقسم بالله أنا لست ساحرًا ولا دجالًا!

فصفقت له علي جمال وقوة السؤال: وقالت صارخة:

- عندما أخذ عبد الناصر الأراضي من الأغنياء ليوزعها على الفقراء في خطوة قوية لن يفعلها رئيس مصري غيره لم يلاحظ دموع الفتاة بنت الباشا وهي تعلم أن والدها في غضون أيام قليلة سيعلن إفلاسه! هل أعلن الباشا إفلاسه؟ هل أعلنت الفتاة دموعها؟ هل أصبح الفقير غنيًّا؟ أسئلة أتفه من سؤال داروين: "ما أصل الإنسان"؟

فظهر علي وجه كل من في القاعة الاستغراب من الإجابة فقالت ضاحكة:

- أنا الكذبة المنطوية في نصف كلامي، أنا عدم الإعلان عن الشيء!

فقال نفس الشاب:

- إذًا أنت من الأساس عدم؟

فقالت:

- ومن مننا ليس بعدم! نحن جميعًا مخلوقات هي والعدم سواء، بكاؤنا على اللبن المسكوب فشلًا وليس حبًّا! وأصبر بحكم ربك فإنك بأعيننا، الآية جميلة، عظيمة، راقية.

ثم نظرت يسارها وابتسم فمها ووجهها وقالت وهي تنظر للأرض:

- الحب والقدر والكره والذكاء والجهل ليس مصادفة! المصادفة أننا لا نستغل المصادفة!

عش العنكبوت كان أكبر مصادفة في حياة النبي، رائحة خوف أبي بكر في لحظة كان من الممكن كشفهما، لولا رائحة جمال الرسول،

لو جلس فرانس كافكا مع نيتشة مع سارتر، وبيكاسو ودافنشي، لن يستطيعوا ان يضعوا مفهومًا للمصادفة،

ما أجمل الهدوء! ما أجمل الصمت! يجعلك تشعر ما كانت الأرض عليه قبل البشر والحيوانات، ماذا كان قبل الحيوانات الكبيرة؟ هل كانت الملائكة تعوم على كوكب الأرض كأنه بحيرة كبيرة؟ من وجهة نظري، أعتقد أن الملائكة كانت أسعد قبل وجودنا على الأرض، فكلمة ملاك تقال للفتيات أكثر من المياه المهدرة يوميًّا! كأن الله خلقنا فقط لنتشبه بآياته الكبرى دون أن نعمل نحن بآية واحدة من آياته!

أذكر نفسي وأياكم بهدوء القبر، فهو فارغ، تملؤه الحشرات فقط، لكن لا تقلقوا،إنها مسالمة لن تفعل بنا مثل ما كنا نفعل نحن بها، وهذه الحشرات هي الجزء الباقي منكم كما قلت!

- لماذا لم تسألي أخيك عن الأرض قبل الخلق؟

- لم يستطع أخي الوصول إلى ما قبل بدء الخلق لأن الله وضع حدود له، أوله في السفر عند آدم فقط.

– ما حالتك الاجتماعية؟

– وحيدة!

– ممتاز.. ألم تعلمك الوحدة الصمت وكتم المشاعر والإحساس؟

– علمتني الوحدة أشياء كثيرة منها سماع صوت عقل.

– هل علمتك الوحدة الحب؟

– علمتني أحب من يحب صمتي!

– ما رأيك في العمى البصري؟

– شيء صعب للغاية بالتأكيد.

– والقلبي؟

– مؤلم!

– هل يمكنك أن تعيش بدون البصر؟

– لا!

– هكذا هو.. لم يستطع العيش بدون بصر قلبه الذي رأى الماضي

– احكي لي عدة أشياء قصصها عليك؟

– سأقص عليك قصة قصيرة، رجل جميل للغاية.. جلس مع رجل أقل منه جمالًا، فقال الثاني: يا ليتني كنت مثلك" فابتسم الأول وقال "يا ليتك.. تمر الأيام.. أيام قليلة بساعات كثيرة، يبكي الثاني من شكله المتواضع،

ويصرخ الأول، يجلس الاثنان في سيارة الثاني، فيترل الأول ليحضر شيئًا يأكله، فيسقط لوح زجاج من مبنى في مرحلة الإنشاء! لحسن الحظ سقط بعد منه بخطوات قليلة، فخرج الثاني من السيارة وهرول له ليطمئن عليه! فأحس الأول بألم في قدمه اليمنى فلم يرفع ملابسه حتى لا يظهر طرفه الصناعي!

فقال شاب شعره طويل مربوط من الخلف:

– ما تفسيره إذًا للموسيقا بأنواعها؟

– عندما عزف الشيطان! عندما عزف الشيطان وقف جميع البشر صفا واحدا ليستمعوا له، لم يعزف بآلة موسيقية أو آلة شعبية، عزف بقلبه الجريح من طرده من الجنة بسبب كبريائه وغروره! الشيطان يعزف على أوتار قلوبنا العام بأكمله ليهدأ باله في الشهر العظيم.. حتى آلهة القدر الجميع يصرخ بقلبه وليست الحناجر، بيتهوفن رسم لوحة سريالية على مشاعر سقراط التي اقتبسها من ريشة دافنشي.

***

- هل تؤمن بوجود كائنات أخرى تعيش معنا؟

قالتها منار ليحيى في أثناء جلوسهما معًا؟

فقالت:

- هل تصدق بوجود موجات صوتية ممكن أن تتحول إلى قلب فوق قلبنا ليحدثنا عما نشعر به في قلبنا الحقيقي!؟

فقال لها:

- بالتأكيد فالموجات التي نستمع لها في الراديو أو التلفاز تغطي عن موجات قلوبنا فتندمج معها، ونوبات الندم والتوبة التي نشعر بها عند قراءتنا للقرآن، عندما تريدين أن تصفي لي شيئًا فتخونك الألفاظ فأفهم أنا بدون أن تقولي شيئًا واحدًا منها، كل هذه موجات في الهواء تكونت فوق قلوبنا فنسينا قلبنا الحقيقي علي حد قولك.

فردّت عليه بسرعة تدل على إعجابها بالنقاش:

- نحن كبشر موجات فوق بعضها البعض فتكون جسدنا الحالي!؟

- نحن بالفعل موجات فوق بعضها البعض،المشاعر والأحاسيس والحب والتفكير، ليست ملموسة بل محسوسة، ومن ثم نحن نشعر بها كموجة الإذاعة عندما تصطدم بالراديو

- وإني يوميًّا أحلم بمستقبلي مع شخص واحد؟

- الأحلام غير الرؤيا، الأحلام العقل الباطن من العقل الأصلي ومن شدة تفكيرك يظهر هذا الشخص في موجاتك في موجاتك!

- والفوضى؟

- هي أكثر شيء مرتب في الكون!

- ما رأيك في اللغة العربية؟

لغة جميلة، سلسة، حتى حرف الصاد بجانب الضاد فإذا أخطأت في الكتابة وقلت حصني يعطي نفس مضمون حضني.

فهمست له:

- أريد أن أهرب في حضنك.

فضمها إليه، وقال في قرارة نفسه:

"أحببتك حقًّا يا فتاتيَ المدللة، لا تتركيني من فضلك".

وبعد مرور سنة تقريبًا أصرت على تركه بسبب ضغط أهلها.

شعر في لحظتها أن قلبه تحطم! ليس قلبه فقط، بل جسده بأكمله، تذوق مرارة الألم والأسي،هل تستطيع أن تقول لا للظالم، كتبت في مدونتي الأولى:

"عندما تتكاثر عليك خيانة الأصدقاء مع أعز الناس لك، اترك الموت يتغلغل بداخلك".

هل كلف الله عز وجل الحب لموت القلوب فقط! سمعنا كثيرًا عن قصص حب انتهت بقتل البطل والبطلة، كل كاتب وروائي حينما يكتب عن قصة حب يحتار ماذا تكون النهاية، هل موت البطل أم البطلة؟!

حتى إذا تحدثنا عن قصص حقيقية، مهلًا! إذا تحدثنا عن قصص حقيقية فالرسول محمد أحق من كل الأحبة،حب المسيح لعذرية مريم، حب الحوت لصوت يونس في التسبيح والاستغفار، حب الله لعباده العلماء، حب جذع النخلة لمريم الذي شهد على عذريتها، حب شجرة المنبر عندما تركها العظيم المعظم، لماذا نختزل الحب دائمًا في علاقة نعلم أنها ليست دائمة!

هل لأن قلوبنا تزول فنتعلق بحب زائل؟!

هل لأن الدنيا فانية فنقصد أن تفني قلوبنا معها؟!

أسئلة في عقلي قد تكون وجودية! هل هي تفكر بهذا أيضًا؟!

لم يخطئ كافكا عندما قال: "أتألم، فأكتب، فتصفق لي".

فقطع عربي كلامه بسخرية:

– واضح أن كثرة المعادلات أصابتك بالجنون.

فقال متنهدًا:

- يبدو أن الاشتياق أرهق قلبي

فقال:

- من الممكن أن تختصر كلامك عنها بوصفها الكونتيسة التي سممت خادمها!

***

تتصل مي بأمير مرة أخرى لتسأله عمّا توصل له فلم يجب، المرة الثانية، الثالثة.. أجاب بصوت مرهق:

– نعم.

– آسفة.

– يومان إن شاء الله!

ففرحت جدًّا بالخبر وقرأت الصفحة الخامسة في المدونة:

القرار يمكن أخذه في أقل من دقيقة لكن الندم والفرحة تساوي عمرًا كاملًا، فكري جيدًا قبل أي قرار، سواء كان حبًا أو عملًا أو أي شيء..

في أثناء قراءتها للمدونة دخل عليها أخوها ليخبرها

– مازن زميلك في الجامعة كلمني عليك.

فقالت:

– قرار الزواج مرفوض حاليًا.

وأكملت...

سواء كان حبًا أو عملًا أو أي شيئًا، فالدنيا فانية، زائلة، مثل قارون أغنى بشري في الأرض.. مات وترك خلفه ملايين من الدراهم والذهب والياقوت.. ماذا فعل فهم؟ هل أنقذوه من ملك الموت؟! لا لم ينقذوه، فكري جيدًا يا صغيرتي.. المال والعمل وجهان لعملة واحدة، وهي عملة الإرهاق.. فكري جيدًا قبل أن تتخذي قرار العمل في مؤسسة ما.

***

ناسا:

أنني أطلب من علماء الفلك في مصر الرجوع لوكالة ناسا الفضائية للكشف عن شيء غريب يسير في الفضاء!

- قالتها مي في لقاء تلفزيوني.

فتواصل بالفعل عميد جامعة زويل مع وكالة ناسا الفضائية لاستكشاف الغريب في الفضاء الواسع.

***

بعد تقديم الطلب بيومين:

مكالمة هاتفية تجمعه العميد بالمنوط بهذا البحث

- اكتشفنا بالفعل حرارة غريبة بجانب حرارة الشمس، أقل بكثير من حرارتها، وبالتتبع اكتشفنا أن هذه الحرارة تتجول في الفضاء والسماء، وكل ساعة تختفي وتظهر، ومع تقريب الصورة لنرى ماهيته رأينا يد تشاور لنا! فأعتقد أن كلام هذه الفتاة صحيح بالكامل! أخوها فعلًا يسبح في الفضاء!

فقال المسؤل المصري:

- كيف يسبح في الفضاء وهو ميت؟!

- الجسد فقط ميت، أما الروح حية، ورأينا ذلك بأم أعيننا.

- عقلي يطير مني يا بروفيسور!

- ليس أكثر مننا يا دكتور، لقد آمن منا أشخاص بالسيد المسيح وآخرون بالإسلام بعد رؤيتهم هذا الموقف وهذه الروح! كلامها صحيح.

***

الصفحة السادسة:

إياكِ والتخلي عن حلمك وهدفك فهو يشبه شرفك العقلي، لا تبيعي عقلك من أجل أي شيء في الدنيا، فالدنيا تبيع نفسها فما بالك بالعقل!

أتذكر بكاء سيمون دي بوفوار عندما تركتها حبيبتها لأنها خانتها مع فتاة أخرى، فتاة شاذة تركت شاذة أخرى لكن سارتر لم يكرهها يومًا واحدا، كانت تلميذة وأستاذًا ثم أصبح الاثنان كبار الفلاسفة، تقول وتعلن أنها لم تتزوج من سارتر، وأنا لم أشغل عقلي بالبحث خلفها.

تاريخ العالم محكمة تصدر أحكامًا...قالها هيجل ولم يخطئ، بالفعل التاريخ يصدر أحكامًا أبدية يسجلها المؤرخون، اجعلي تاريخك يقول عنك يا عظيمة.

وأنا من مكاني هذا أعلم جيدًا أنك ستكونين عظيمة

لا تقرئي الصفحات القادمة الآن أرجوكِ، وإذا قرأتها لا تنفذيها.

***

الصفحة السابعة:

في أثناء رجوعي بالزمن وتنشيط المعادلات الرياضية على الحاسوب اكتشفت ان الرقم الذي يمكنه فهل كل هذا هو الرقم عشرة، رقم مميز، المعادلات بأكملها تعتمد عليه.. لذلك ركزت عليه في الحسابات البسيطة والمعقدة، رقم يتمحور حوله الكثير من الكواكب والإشارات الفيزيائية المثيرة.. الواحد والصفر عندما يجتمعان في مكان واحد يفعلون ما لا يمكن فعله أي رقم آخر، لكن إذا أضفنا صفرًا آخر بجانب الصفر الأول سيبطل مفعولًا أي معادلة. لذلك سافرت يوم العاشر من شهر عشرة الميلادي.

أما عن رقم سبعة فهو رقم العباقرة.. رقم لا تشوبه أي شائبة.. رقم مقدس عند الملائكة.. رقم عظيم.

لكن للأسف حدث تداخل رهيب في الأزمان في البداية، ثم أصبح عقلي يتحكم في الحدث مثل الفيلم.

***

الصفحة الثامنة:

السر الأعظم هو اكتشاف كائنات أخرى تعيش معنا.

كائنات بشرية تتنفس وتأكل وتشرب مثلنا، كائنات تشبه تكويننا الجسماني والعقلاني لكن أرقى وأحسن.. هذه الكائنات هي أرواح الشهداء والأنبياء والرسل،

اقتحم قراءتها صوت هاتفها.. أمير يتصل بها فردت فقال:

– عنوان منزلي سأرسله لك في رسالة.

بعد ثوان وصلت الرسالة لتكمل قراءة الصفحة التاسعة وتنزل له.

هذه الكائنات هي أرواح الشهداء والأنبياء والرسل.. أتمنى أن تكوني شهيدة لتكون روحك طيبة الرائحة والاسم.

الصفحة القادمة ستكون النهاية:

***

الصفحة التاسعة:

روحي هائمة بدون جسد وبدون كفن لأنها تريد إيصال رسالة معينة لشخص معين.. لا أعلم إذا كنتِ أنتِ الشخص أم لا.. لكني أشعر أنك هو الشخص.. لا ترتكبي أي حماقات حتى تهدأ روحي.

افعلي دائمًا الصواب والخير.. عسى أن تكون النهاية

من فضلك.. لا تفتحي الصفحة العاشرة مهما يكلفك الأمر.

نزلت سريعًا لأمير.. فتح باب بيته لها.. دخلت نظرت يمينها ويسارها.. فأشار بيده لغرفة معينة.. دخلت.. جهاز يشبه جهاز أخيها، نفس الحجم، نفس الحاسوب، نفس كل شيء.. ففتح لها أمير الباب، فدخلت، وقالت مثل أخيها:

- فلنقم بالرحلة.

فدمعت عيناها، ونظر أمير لعينيها

فاختفى الجهاز تمامًا عن الأعين.

فبكى أمير بجنون.

تحرُّك جسد يحيى في القبر دليل على دخول روحه فيه.. فمات يحيى تمامًا.

بعد هذه الحادثة بيومين، دخل محمد أخوهم الكبير غرفة مي ليقرأ الصفحة العاشرة من المدونة الزرقاء

مكتوب فيها بخط عريض كبير.

الرحلة مؤلمة يا مي.

الرحلة مؤلمة للغاية.. لكنك أرحتِ بدني وأنتِ من ستعيش في شقاء لأيام كثيرة مثلي حتى يقتنع شخص آخر بوجودك.

إمضاء: يحيى، أخوك.

***

